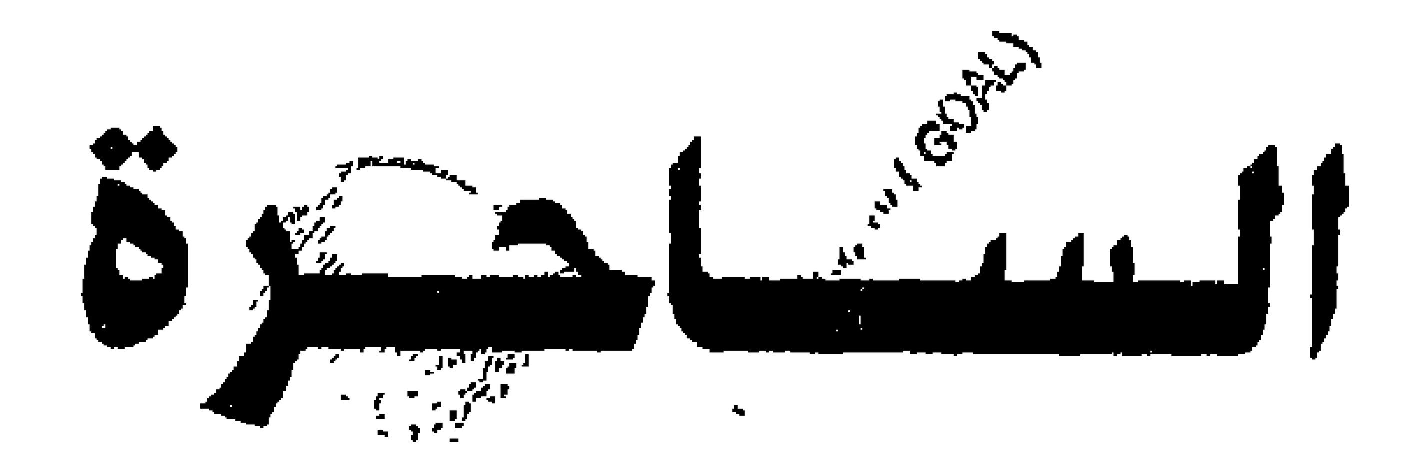


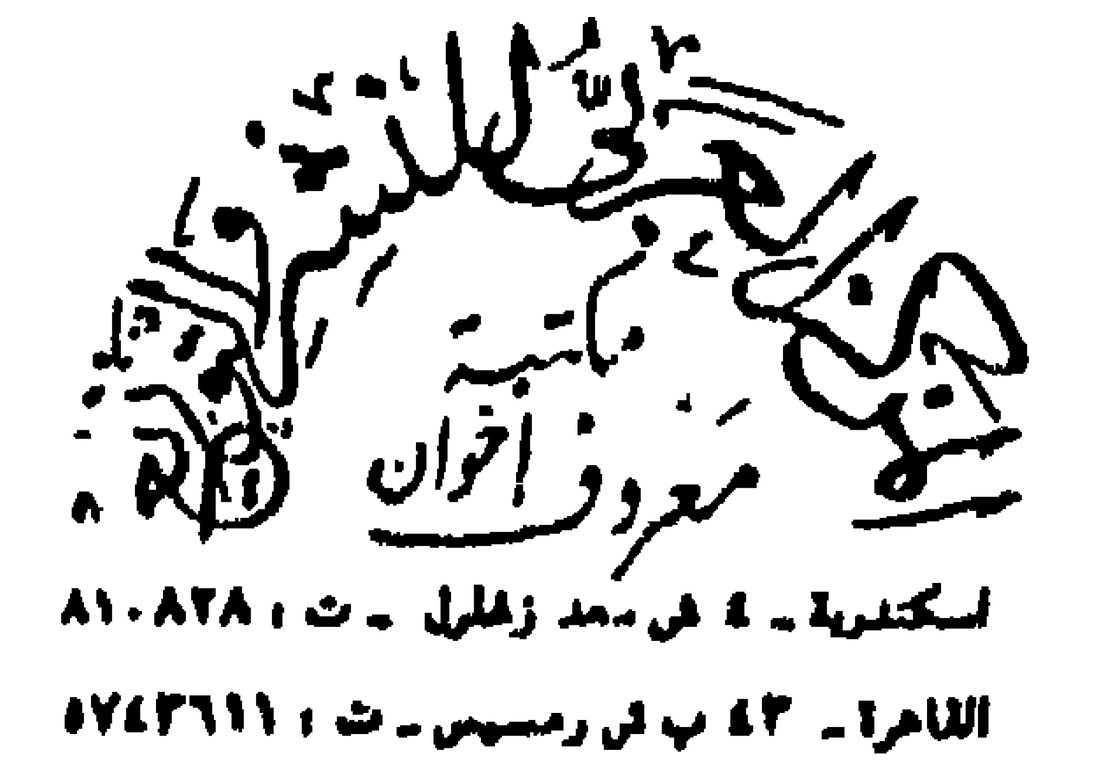
الساعة

اجاثا كريستى



الساحرة

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال

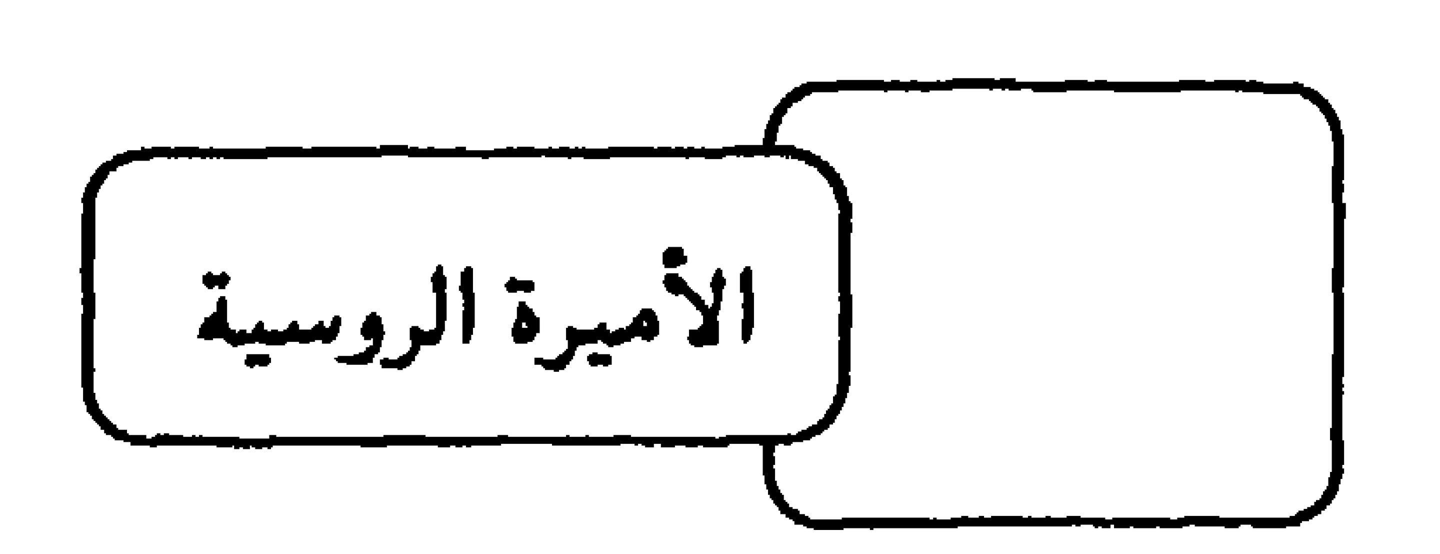


اسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت : ٥٧٤٣٦١١

□ غلاف وإشراف فنى
إيهاب التركى

□ إخراج فنى
منى سليم

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض



الأميرة الروسية

عاد ماركوس هاردمان يقول للمرة العشرين : أرجوك أن تبعد عن كل دعاية على الخصوص .

كان مستر هاردمان رجلا قصيرا مكتنز الجسم يعنى بيديه الى درجة كبيرة ويتكلم بصوت ناعم أشبه بصوت مبحوح . وكان رجلا معروفا فى الأوساط الاجتماعية التى يكرس لها كل وقته ، ينفق كل دخله فى اقامة الحفلات واقتناء مجموعات من الدانتللات والمرواح والمجوهرات القديمة ..وكلها مجموعات مختارة بعيدة عن الابتذال .

ذهبت أنا وبوارو لزيارته بناء على دعوة ملحة منه والفيناه فى حالة قصوى من الانفعال والهياج ، وأخبرنا أنه لم يستطع أن يقرر الالتجاء الى البوليس ، ولكن نظرا للظروف ، فان عدم التصرف معناه أن يقبل ضياع درر مجموعته ولذا فقد استقرت نيته أخيرا على أن يلجأ الى بوارو .

– بلاتينى يا مستر بوارو .. وعقد الزمرد الذى لا أشك فى أنه كان ملكا لكاترين دى ميدسيس . أوه ! ... انه عقد فريد ... ياللخسارة الفادحة .

قاطع بوارو تأوهاته بأن سأله فى هدوء : – هل لك أن تذكر لى الظروف التى اختفت فيها هذه المجموعة يا مستر هاردمان ؟

– آه ... أقمت حفلة شاى بعد ظهر أمس ... حفلة غير رسمية ، دعوت اليها ستة من الأصدقاء . وقد سبق أن أقمت مثل هذه الحفلة أكثر من مرة خلال هذا الموسم ، وأقول ولا غرو أنها كانت حفلات ناجحة جدا . وقد دعوت أمس ناكورا ، عازف البيان المشهور وكاترين بيرد المطربة الاسترالية ، وقدما لنا عرضا رائعا فى الاستديو الكبير .

وفى بداية الحفلة عرضت على ضيوفى مجموعة جواهرى التى يرجع عهدها الى العصور الوسطى والتى احتفظ بها فى خزانة داخل الجدار ، وهى الخزانة التى تراها هناك . وقد كسوتها من الداخل بالقطيفة لكى أضع بها الأحجار الثمينة . وبعد ذلك شاهد الضيوف مجموعة المراوح الموجودة فى هذه الفترينة التى تراها لصق الجدار المقابل . ثم ذهبنا بعد ذلك الى الاستديو لسماع الموسيقى . ولم الحظ السرقة الا بعد رحيل المدعوين . ولاريب اننى أغفلت التأكد مما اذا كنت قد أحكمت اغلاق الخزانة وانتهز بعضهم فرصة اهمالى وسرق ما بها . انها مجموعة فريدة نادرة يا مستر بوارو وانى لاتنازل عن الكثير فى سبيل استردادها . ولكن تذكر ... لا أريد أية دعاية ... أرجو أن تفهم يا مسيو بوارو ان الأمر يتعلق بضيوفى وهم من أصدقائى الحميمين ، وقد ينتهى الأمر الى فضيحة .

– هل لاحظت من كان آخر من غادر هذه الغرفة عندما ذهبتم معا الى الاستديو ؟

– انه مستر جونستون ، المليونير المعروف فى جنوب أفريقيا ... لعلك تعرفه ؟ انه استأجر حديثا بيت أبوتبورى فى بارك ليف واتذكر انه تأخر بضع دقائق خلفنا . ولكن لا يمكن أن يكون هو السارق ... لا يمكن أبدا ...

– هل عاد شخص آخر الى هذه الغرفة خلال فترة بعد الظهر بأية حجة ؟

– لقد فكرت فى الأمر يا مستر بوارو .. عاد ثلاثة الكونتيسة فيرا روساكوف ومستر برنارد بارك والليدى رانكورن .

– ماذا تعرف عنهم ؟

– ان الكونتيس روساكوف روسية وهى امرأة فاتنة عاصرت النظام السابق فى روسيا ثم لجأت الى انجلترا وتقيم فيها منذ بعض الوقت . وامس بعد أن ودعتنى دهشت حين وجدتها هنا ثانية واقفة تتأمل فى اعجاب مجموعة المراوح . وكلما فكرت فى هذا الأمر كلما بدا لى غريبا . فما هو رأيك يا مستر بوارو ؟

- أرى تصرفها هذا غريبا فعلا . ولكن لننتقل الى الآخرين ، اذا سمحت .

– حسنا . جاء باركر ليبحث عن صندوق به مجموعة من التحف المصغرة كنت أريد أن اريها لليدى راتكورن .

– ومن هى الليدى رانكورن هذه ؟

– هى امرأة ذات شخصية قوية ومعروفة باخلاصها وتفانيها فى الأعمال الخيرية . وقد جاءت لمجرد استرداد حقيبتها وكانت قد نسيتها فوق أحد المقاعد .

– حسنا يا سيدى . أمامنا اذن أربعة يمكن الاشتباه فيهم : الكونتيس الروسية والسيدة الانجليزية العظيمة ومليونير جنوب أفريقيا ومستر برنارد باركر وبهذه المناسبة من هو مستر باركر هذا .

ويبدو ان السؤال ضايق مستر هاردمان لأنه أجاب مترددا :

– انه شاب ... شاب أعرفه .

– اعلم ذلك . ولكن ماذا يفعل هذا الشاب بالتحديد ؟

– انه رجل من رجال المجتمع ... واذا جاز لى القول فانه على علم بكل ما يدور فى المجتمع .

– هل أستطيع أن أعرف كيف تمكن من الاندماج فى نطاق أصدقائك ؟

– حسنا .انه استطاع فى مناسبه أو مناسبتين أن ينجز لى بعض الأعمال الخاصة .

– استمر يا سيدى .

– ضغط هاردمان على يديه فى انفعال . كان من الواضح ان آخر شئ يريده كان هو ارضاء فضول محدثه . ولكن اذ رأى بوارو يلزم الصمت المطبق اضطر ان يرجع عن رأيه فقال :

– إنت تعلم طبعا ان من المعروف عنى اننى أجمع المجوهرات القديمة . ويحدث فى بعض الأحيان أن تضطر احدى العائلات الى بيع تحفة ثمينة لديها دون ان تمر بين يدى

احد التجار المعروفين . ومركزي يهيئ ميزة خاصة ، هي انني استطيع تدبير بعض المبيعات الخاصة . وباركر يقوم نيابة عني لتسوية التفاصيل المالية وللاتصال بالمشترين المحتملين ، وبذلك يجنب الطرفين كل ما يمكن ان يتعرضا له من مشاكل وعقبات . وهناك مثلا الكونتيس روساكوف ، فهي قد جاءت معها بمجوهراتها من روسيا وفي نيتها ان تبيعها ويمكنها ان تلجأ الى باركر لكي يجد لها مشتري ..

– فهمت . انك تمنح هذا الشاب كل ثقتك اذن ؟

– لم يقع منه حتى الآن ما يحملني على الشكوى منه .

– مستر هاردمان ... من هو الشخص الذي تشتبه فيه من بين هؤلاء الأشخاص الأربعة .

– أوه ... يا له من سؤال يا مستر بوارو ؟ ... انهم أصدقائي كما قلت لك ، ولا أشتبه في أي واحد منهم ... أو أشتبه فيهم كلهم ... عليك أنت ان تختار الصيغة التي توافقك .

– ولكن لاشك في انك تشتبه في واحد منهم بالذات ، وهو ليس الكونتيس روساكوف ولا مستر باركر ... وعليه فلابد ان تكون الليدي رانكورن أو لعله مستر جونستون ؟

– انك تحرجني يا مستر بوارو . ان كل ما يهمني هو ان اتجنب أية فضيحة . ان الليدي رانكورن تنتمي الى أقدم وأعرق العائلات الانجليزية . ولكن من المعروف لسوء الحظ ان خالتها الليدي كارولين كانت مصابة بداء بغيض ... وكل أصدقائها كانوا يعرفون عنها ذلك ، وكانت خادمتها تعيد دائما الاشياء التي كانت تأخذها سهوا .. وتنهد مستر هاردمان واستطرد " وأنت ترى الى أي حد أجد نفسي في موقف شديد الحرج " .

– اذن فالليدي رانكورن لها خالة مصابة بداء السرقة ... آه ... هذا أمر يدعو

الى الاهتمام ... هل تسمح لى بأن أفحص الخزانة التى فى الجدار ؟

رفع مستر هاردمان رأسه ، ورفع بوارو الباب الحديدى لكى يفحص الخزانة وقال وهو يعالج بابها :

– اننى اتساءل لماذا لا ينقفل هذا الباب جيدا . آه ... ما هذا ؟ ... قفاز مشتبك فى المفصلة ... قفاز رجل .

وعرضه على هاردمان الذى أسرع يقول : انه ليس لى .

– آه ... أننى أرى شيئا آخر كذلك ؟

ومد يده داخل الخزانة وأخرج علبة سجائر صغيرة فصاح هاردمان :

– علبتى .

– لا أظن ذلك يا سيدى . لان الحرفين الاولين اللذين عليها مخالفان للحرفين الاولين من اسمك . وأشار الى حرفين محفورين ومتشابكين . فقال هارمادن :

– انك على حق . ان العلبة تشبه علبتى ولكن الحرفين مختلفان ب و ب . يا الهى... باركر !

– يبدو ذلك . ان هذا الشاب قليل الحرص . اذا كان القفاز أيضا ملكه فانه يقدم لنا بذلك دليلين ضده .

قال هاردمان : – برنارد باركر ... ان هذا الاكتشاف يطمئننى فى الواقع يا مستر بوارو . اننى أترك لك مهمة العثور على المجوهرات . واذا رأيت ذلك ضروريا فارفع الأمر الى البوليس ... بشريطة ان تكون متأكدا من أن باركر هو المذنب فعلا .

قال لى بوارو ونحن نغادر بيت مستر هاردمان :

– أرأيت يا صديقى ان مستر هاردمان يعترف بقانون للنبلاء وآخر للعوام !

وحيث اننى لم أخطر بعد بمرتبة النبل فاننى أتعاطف مع باركر . ان هذه القضية غريبة جدا . ألست معى فى هذا ؟ ... ان هاردمان يشتبه فى الليدى راتكورن

وشكوكى أنا شخصيا ترمى الى الكونتيس والى جونستون ، ولكن باركر الغامض هو المذنب

- ولماذا تشتبه فى هذين الشخصين ؟

- أوه . ان من اليسير جدا أن ينتحل المرء صفة الكونتيس الروسية أو المليونير الافريقى فمن ذا الذى يستطيع أن يكذب الواحد أو الآخر ؟ وبهذه المناسبة نحن الآن فى شارع بورى حيث يقيم صديقنا المهمل . فما رأيك فى أن نطرق الحديد قبل أن يبرد ؟

أخبرنا أحد الخدم أن مستر برنارد باركر موجود . وقد وجدناه مستلقيا فوق بعض الوسائد وهو يرتدى معطفا منزليا من اللونين الارجوازى والبرتقالى . وقد أحسست على الفور بنفور كبير نحو هذا الشاب الشاحب اللون المخنث الذى يتكلم برقة مصطنعة.

وبادره بوارو بالهجوم فقال :

صباح الخير يا سيدى ، اننى قادم من عند مستر هاردمان . لقد سرق بعضهم كل مجوهراته فى أصيل الأمس . اسمح لى أن أسألك أيها السيد ... هل هذا القفاز لك ؟

ولا ريب فى ان باركر كان بطئ الفهم بطبيعته فقد نظر الى القفاز مليا كما لو كان يحاول أن يجمع شتات أفكاره ثم قال :

- أين وجدته ؟

- أهو قفازك أيها السيد ؟

- كلا . انه ليس لى .

- وعلبة السجائر هذه ؟

- كلا بالطبع . ان علبتى من الفضة .

- حسنا أيها السيد . اننى ذاهب لتوى لأعهد بالقضية الى البوليس .

- لو اننى مكانك لما فعلت شيئا من ذلك . فان رجال البوليس فضوليون ، وانما كنت أذهب لرؤية العجوز هاردمان ... ولكن انتظر لحظة .

ولكن بوارو كان قد تحول وانصرف .

وخاطبنى ونحن فى الشارع وهو يكتم ضحكة : اننا قدمنا له مادة للتفكير . وغدا سنرى كيف تسير الأحداث .

وفى خلال الأصيل من ذلك اليوم وقعنا على الجديد فى قضية هاردمان : فقد فتح باب المسكن الذى تقطن فيه ووقفت بعتبته غادة هيفاء ذات جمال رائع أخاذ ترتدى ثيابا حريرية ، لها حفيف جميل انستنا لفحة الهواء الباردة اللاذعة التى هبت من خلال الباب الذى تركته ، وقد أدركنا على الفور أن الكونتيس روسكوف امرأة مزعجة .

وقالت بلهجة تشوبها لكنة أجنبية :

- هل أنت هركيول بوارو ؟ ... ماذا فعلت أيها البائس ؟ ... أتتهم ذلك الشاب المسكين ! ... هذا عار ... فضيحة ... ان برنارد ملاك ... حمل صغير ... لا يمكن ان يفكر فى سرقة شئ انه بذل الكثير من أجلى ... ولا يمكننى أن أقف مكتوفة اليدين وأنت تعذبه كالأمير زاتخوف تحت خناجر البلاشفة .

- سيدتى ... أهذه علبة سجائره ؟

وقدم لها بوارو العلبة التى وجدها فى الخزانة . ففحصتها فى صمت ثم قالت :

- نعم . أنها علبته . أننى أعرفها ... ولكن ما الغرابة فى هذا ؟ .. هل وجدتها فى بيت مستر هاردمان ... اننا كنا هناك جميعا . وأظن أنها سقطت منه . آه لكم يا معشر رجال البوليس . انكم أسوأ من أعوان القيصر .

- وهل هذا قفازه يا سيدتى ؟

- وكيف تريد منى أن أعرف ذلك ؟ انه أشبه بأى قفاز آخر .

لا تحاول أن تعترض طريقه ... اننى أريد أن تبرأ ساحته . يجب أن يزول كل شك

يلحق بسمعته . سوف تعنى به ، أليس كذلك ؟ اننى سأبيع كل مجوهراتى وسأعطيك كثيرا من النقود .

– سيدتى ...

– لقد فرغنا من هذا الأمر . لقد قلت كلمتى ... كلها .. كلا .. كلا .. لا تحتج .. يا للشاب المسكين ! انه جاءنى والدموع ملء عينيه فوعدته قائلة : سأنقذك . سأذهب للقاء ذلك الرجل ... ذلك الغول ... ذلك الوحش ... دع ثيرا تعمل ... اتفقنا الآن . سأنصرف مطمئنة الى وعدك كرجل شريف .

واختفت كما جاءت تاركة وراءها نفحة من العطر الجميل فصحت :

– يا لها من امرأة ! ... هل رأيت الفراء التى ترتديها .

– نعم . وهى فراء طبيعية ... ولا أظن ان الكونتيس الزائفة ترتدى فراء طبيعية . واليك حدس بسيط يا هاستنجر .. اننى أعتقد انها روسية حقا ... لقد ذهب مستر برنارد واشتكى اليها اذن وهذا يدل على أن علبة السجائر ملكه حقا واننى اتساءل عما اذا كان القفاز ...

واخرج بوارو من جيبه فردة قفاز أخرى وضعها وهو يبتسم بجوار الفردة الأولى . كانت الفردتان لقفاز واحد .

وسألته : – اين وجدت الفردة الثانية ؟

– كانت ملقاة على مقعد وبجوارها عصا فى بهو شارع بورى . ان مستر باركر هذا شاب حريص جدا حقا ... والواقع يا صديقى اننا نقترب من نهاية هذه القصة . وسأقوم بزيارة الى بارك لين للشكليات فقط .

وغنى عن البيان اننى سأرافق بوارو . لم يكن جونستون فى بيته ولكن سكرتيره الخاص أخبرنا ، بدون أى تردد ، ان مخدومه قد وصل حديثا من أفريقيا الجنوبية وان هذه أول مرة يزور فيها انجلترا . وقال بوارو :

- أظنه يهتم بالأحجار الكريمة .

تهته السكرتير وقال : - بل قل انه يهتم بمناجم الذهب .

خرج بوارو من الحديث وهو يفكر . وفى وقت متأخر من تلك الليلة وجدته غارقا فى قراءة كتاب فى قواعد اللغة الروسية . فصحت :

- يا الهى يا بوارو ... هل تتعلم الروسية لكى تتحدث مع الكونتيس بلغتها الأصلية .

- الحق يقال أنها لا تبدى أى اهتمام بانجليزيتى .

- ولكن الروسيات العريقات يجدن الحديث بالفرنسية .

- انت منبع معلومات لا ينضب يا هاستنجر .. سأكف اذن عن الاهتمام بتعقيدات الحروف الروسية .

وألقى بالكتاب فى حركة مسرحية ولكننى مع ذلك لم اطمئن كل الاطمئنان ، لأننى رأيت وميضا أعرفه حق المعرفة يلمع فى عينيه . وكانت هذه علامة لا تقبل الجدل على ان بوارو كان مسرورا وراضيا عن نفسه .

قلت فى لهجة ذات مغزى : - لعلك تشك فى انها روسية حقا . هل تريد ان تختبرها ؟

- كلا . كلا . اننى لا أشك فى جنسيتها .

- اذن ؟

- اذا أردت ان تنجح فى هذه القضية حقا يا هاستنجز فاننى أوصيك بأن تقرأ "مبادئ النحو الروسى" . فهو كتاب ذو قيمة لا تقدر .

وضحك ضحكة صغيرة خافتة وأبى أن يحدد لى فكرته . فأخذت الكتاب الذى ألقاه ورحت أقلب صفحاته ولكننى لم أجد فيه حلا للغز الذى قدمه بوارو .

لم يأتنا صباح اليوم التالى بأى نبأ . كما أن بوارو لم يبد أى استياء لذلك ، ولكن

بعد أن فرغنا من تناول طعام الأفطار عبر عن رغبته فى الذهاب لزيارة مستر هاردمان فى فترة الضحى ، وعندما وصلنا الى منزل رجل المجتمع وجدناه أكثر هدوءا مما تركناه بالأمس وقال :

- حسنا يا مستر بوارو ... هل اهتديت الى شئ ؟

ناوله المخبر القصير ورقة صغيرة وهو يقول : - هذا هو اسم الشخص الذى أخذ مجوهراتك يا سيدى . هل يجب أن أعهد بالقضية الى رجال البوليس ؟ أم لعلك تفضل أن استرد لك مجوهراتك دون اخطار السلطات ؟

راح هاردمان ينظر فى ذهول الى الورقة التى فى يده . وعندما هدأ روعه أسرع يقول :

- اننى أفضل تجنب الفضيحة . اننى أفوضك تفويضا كاملا يا مستر بوارو ، ولا شك عندى فى انك ستحسن التصرف .

وعندما خرجنا استدعى بوارو سيارة أجرة وطلب من السائق ان ينطلق بنا الى فندق كارستون . وهناك طلب رؤية الكونتيسة روساكوف . ولم تمض لحظات حتى اقتادنا أحد الخدم الى سكنها . كانت ترتدى ثوبا جميلا من الدرابية مشغولا بالدانتلا . وتقدمت الينا باسطة عن هذا الفتى المسكين ؟

- مستر هركيول ؟ هل أفلحت ؟ هل أزلت الشبهات عن هذا الفتى المسكين ؟

- سيدتى الكونتيس . ليس هناك ما يخشاه ، صديقك مستر باركر من البوليس .

- انت رجل عظيم !

- ولكننى ، من ناحية أخرى يا سيدتى الكونتيس وعدت مستر هاردمان بأن مجوهراته سوف ترد اليه اليوم بالذات .

- حسنا ؟

- وأكون شاكرا لك يا سيدتى اذا تكرمت وأعطيتنى اياها بدون ابطاء .

ويؤسفنى أن اضطر الى استعجالك ، ولكن هناك سيارة أجرة فى انتظارى ... فى حالة اذا ما اضطررت الى الذهاب الى سكوتلانديارد . اننا معشر البلجيكيين معروفون بالاقتصاد ولا أريد أن يدور العداد وقتا طويلا .

وكانت الكونتيس قد أشعلت لفافة ، وبقيت لحظة جامدة فى مقعدها وهى تسحب أنفاسا من الدخان ناظرة الى بوارو . وفجأة ضجت بالضحك ونهضت واقفة ومضت الى مكتبها وأخذت منه حقيبة صغيرة سوداء طوحت بها الى بوارو وقالت فى لهجة مازحة وهادئة فى نفس الوقت :

- اننا معشر الروسيين على النقيض منكم أيها البلجيكيون نميل للاسراف ولكن لسوء الحظ فان ذلك يقتضى أن نكون أغنياء . لا داعى من التحقق فان المجوهرات كلها موجودة .

نهض بوارو وقال : - اننى أهنئك على ذكائك وسرعة بديهتك يا سيدتى .

- ليس لدى الخيار حيث ان سيارة الأجرة فى انتظارك .

أنت ظريفة جدا . هل تنوين البقاء فى لندن مدة طويلة .

- كلا . للأسف ... وذلك بسببك أنت أيها الرجل الفظيع .

- أرجو ان تتقبلى اعتذاراتى .

- لعلنا نلتقى فيما بعد .

- أرجو ذلك .

صاحت ضاحكة : - أما أنا فلا ... ان فى قولى هذا المراء كثيرا لك يا مستر بوارو لأن فى العالم رجالا قلائل أخشى ان التقى بهم الى الملتقى يا مستر بوارو .

- والى الملتقى يا سيدتى الكونتيس . آه . أرجو معذرتك ... كدت أنسى . اسمحى لى أن أعيد اليك علبة سجائرك .

وانحنى أمامها وبسط يده اليها بالعلبة الصغيرة فأخذتها دون أى تردد .. اكتفت

بان عبست قليلا وتمتمت في صوت خافت :

- أشكرك .

صاح بوارو في طرب ونحن نهبط السلم : يالها من امرأة ! يا الهى ! وأى امرأة ! ولا كلمة احتجاج واحدة ... أو أى خداع ... مجرد نظرة أدركت بعدها جدية الموقف . أقول لك يا هاستنجز ان المرأة التى تقبل الهزيمة بمثل هذه البساطة وبمثل هذه الابتسامة وهذا الاستخفاف يمكنها أن تذهب بعيدا . انها شديدة الخطر وأعصابها من حديد ... انها ...

وتعثرت قدمه في احدى الدرجات وكاد يقع فقلت له : حاول ان تهدئ من روعك وان تنظر الى موضع قدمك يا بوارو . قل لى ، متى بدأت تشك في الكونتيس .

- أى صديقى . ان القفاز وعلبة السجائر : ولنقل الدليل المزدوج ، مما يضايقانى . كان من الممكن أن يفقد برنارد باركر أحدهما ولكن أن يفقد الاثنين معا ... فكلا . ان مثل هذا الأمر ليدل على طيش كبير . ومن ناحية أخرى لو ان أحدا وضعهما هناك بقصد اتهام الشاب فان دليلا واحدا كان يكفى .. علبة السجائر أو القفاز ... اما الاثنان معا فلا . وعلى ذلك فقد استنتجت ان أحد الدليلين ليس ملكا لباركر . وقد فكرت في بادئ الأمر ان القفاز ليس ملكا له ولكن حين وجدت الفردة الثانية في بيته اضطررت ان اعترف بالأمر الواقع . وتساءلت عندئذ لمن تكون علبة السجائر . لم تكن تخص رانكورن ، اذ ان الحروف الأولى التي عليها لا تطابق الحروف الاولى من اسمها. مستر جونستون ؟ ... لو أنها كانت ملكه فان معنى ذلك انه قدم الى انجلترا باسم مستعار . ولكننى عندما سألت سكرتيره أدركت على الفور ان موقفه لا غبار عليه ، فان الشاب لم يحاول أن يخفى ماضى سيده . الكونتيس ؟ ... انها ، على ما يبدو قد أحضرت مجوهراتها معها من روسيا لكى تبيعها . وما أن تنتزع الأحجار من تركيباتها حتى يتعذر اثبات أنها أتت من خزانة مستر هاردمان . وكان من السهل

عليها أن تختلس قفازا من باركر وان تتركه فى الخزانة بعد أن تسرقها . ولكن لم يكن فى نيتها بكل تأكيد ان تترك علبة سجائرها فيها .

- ومع ذلك ، اذا كانت العلبة ملكا لها فلماذا تحمل حرفى ب . ب . الحرفين الاولين من اسمها هما ف . ر .

رمانى بوارو بابتسامة تدل على اشفاق كبير وقال :

- هذا صحيح يا صديقى . ولكن الحروف الروسية تختلف عن الحروف الانجليزية . فالباء الأولى باء خفيفة تقابلها فى الروسية الفاء ، والباء الثانية باء ثقيلة تقابلها الراء .

- ما أظنك كنت تتوقع أن أخمن ذاك . فاننى لا أعرف الروسية .

ولا أنا يا هاستنجز . ولهذا راجعت كتاب النحو الروسى ... ونصحتك أن تلقى عليه نظرة .

وتنهد ثم أردف : - ان هذه المرأة راقصة . ولدى احساس يا صديقى ... يكاد يكون مؤكدا ، بأننى سألتقى بها من جديد . ولكن أين ؟ هذا هو ما أتساءل عنه .

وهز كتفيه وقال بالروسية : ' صبرا ' .

***

المأزق

خرج جون هارسون الى الشرفة وأخذ يتأمل الحديقة الممتدة أمامه لحظة ، كان رجلا قويا ضامر الوجه ذا بشرة تميل الى الاخضرار . تدل قسماته الحادة على الحدة والصرامة، ولكن عندما تلين ملامحه فى ابتسامة كتلك التى بدت على وجهه فى تلك اللحظة فانه يبدو جذابا .

كان جون هارسون يحب حديقته ، وهو فى هذه الليلة الحارة من ليالى اغسطس أجمل منها فى أى وقت مضى . كانت الزهور المتسلقة راقصة وزهور البسلة العطرة تملأ الجو بأريجها .

وارتفع صرير القط الحالم من تأملاته وجعله يستدير ... من ترى هذا الذي رفع باب الحديقة ؟ وبعد دقيقة نم وجه هاريسون عن دهشة عميقة لأن الشخص المتألق الذى يتقدم نحوه كان آخر شخص يتوقع أن يراه فى ذلك المكان .

- مستر بوارو ؟ ... يا لها من مفاجأة سعيدة !

والواقع ان الوافد الجديد لم يكن غير هركيول بوارو المشهور . الذى ذاع صيته فى العالم أجمع .

قال : - نعم أنا هو . انك قلت لى ذات يوم . اذا مررت بالمنطقة فأرجوك أن تزورنى ...

وهأنذا .

صاح هارسون فى ارتياح ظاهر : - واننى لجد سعيد وجلس وتناول مشروبا .

وأشار الى مائدة قد صفت عليها بضع زجاجات . وتهالك بوارو فوق مقعد من

الخيزران وقال :

- شكرا لك . أليس لديك أى عصير ؟ . كلا ؟ لا أهمية لذلك سأشرب قليلا من الصودا ... من غير ويسكى .

وأردف فى استياء بينما كان مضيفه يضع كأسا فى متناول يده

- ان شاربى قد أصبح رخوا للأسف ... وذلك بسبب الحر

- ما الذى جاء بك الى هذا المكان الهادئ ؟ ... أهى رحلة للاستجمام ؟

- كلا يا صديقى .. اننى أقوم بتحقيق .

- فى هذا المكان المنعزل ؟

- نعم . فان كل الشرور لا تقع فى وسط المدينة كما تعرف .

ضحك محدثه وقال : - كانت ملاحظتى سخيفة ... فى أية جريمة تحقق هنا ... الا اذا كان سؤالى هذا يدخل فى نطاق الأسئلة التى لا يجب ألقاؤها .

- كلا . كلا ... اننى أفضل أن نتحدث عنها .

حدق هاريسون فى المخبر السرى مذهول وقال : - أهى قضية هامة ؟

- على جانب كبير من الأهمية .

- ماذا تعنى ؟

- ان الأمر يتعلق بجريمة قتل .

أثارت لهجة هركيول بوارو دهشة هارسون كما أثارت نظرته اليه ارتباكه واضطر ان يبذل مجهودا لكى يقول :

- ومع ذلك فاننى لم أسمع بجريمة قتل قد وقعت فى هذه الناحية .

- وهذا لا يدهشنى

- من الذى قتل ؟

- لم يقتل أحد حتى الآن ..

- اننى لا أفهم .

- وهذا هو السبب فى انك لا تعرف . اننى أقوم بالتحقيق فى جريمة قتل سترتكب فان هذا أفضل ، لأن فى مقدورى عندئذ أن أمنع وقوعها .

اننى لا أفهم شيئا مما تقول يا مسيو بوارو . جريمة قتل فى هذه الناحية ؟ ... هذا غير معقول .

- ولكن لا مفر من وقوعها ... ما لم نتصرف فى الوقت المناسب .

- نتصرف ؟

- اننى سأحتاج الى معونتك .

ومرة أخرى نظر اليه بوارو فى حدة وارتبك هارسون دون أن يدرى السبب . واستطرد بوارو .

- اننى هنا يا مستر هارسون لأننى .. لأننى أميل اليك .

وأردف يقول وهو يشير الى شجرة فى الحديقة : اننى أرى هناك عشا للدبابير ... يجب أن تهدمه .

دهش هارسون لهذا التغيير المفاجئ فى الحديث فعبس ونظر الى حيث ينظر المخبر السرى وقال :

- هذا ما أنوى أن أفعله فعلا ... أو بالأحرى سيتكفل الشاب لانجتون بذلك بدلا منى .. هل تتذكر كلود لانجتون ؟ ... كان موجودا فى الحفلة التى تعارفنا فيها . لقد عرض على أن يأتى ليهدم عش الدبابير هذا المساء . ومن حديثه يبدو أنه معتاد على مثل هذا العمل .

- وكيف يقوم بذلك ؟

- سيرش العش بالبنزين بواسطة رشاشة خاصة وسيأتى برشاشته لأن رشاشتى صغيرة جدا .

- هناك طريقة أخرى وهو استخدام سيانور البوتاسيوم .

- أعرف ذلك ولكن ليس من الحرص فى شئ أن يحتفظ الانسان بمثل هذه المادة لديه .

- انه فى الواقع سم قاتل .

وأمسك لحظة ثم عاد يقول : - سم قاتل .

- ولكنه مفيد لكى يتخلص المرء من حماته ، أليس كذلك .

وضحك ولكن بوارو لم يشاركه ضحكه وانما قال :

- هل أنت واثق ان مستر لاجدون سيهدم وكر الدبابير بالبترول .

- كل الثقة . لماذا .

- لقد ذهبت بعد ظهر اليوم الى صيدلى بارشستر وكانت المواد التى أرغب فى شرائها تقتضى أن أوقع فى سجل السموم . وقد وقع بصرى على الاسم الأخير فى السجل ... كان توقيع كلود لاجدون ... وكانت المادة التى اشتراها هى سيانور البوتاسيوم .

- ولكن لاجدون أكد لى أنه لم يستخدم هذه المادة أبدا وانه لا يحبذ استخدامها لابادة الدبابير .

تأمل بوارو الزهور . وسأل فى صوت محايد : - هل تشعر بميل نحو لاجدون . ؟

فوجئ هاريسون بهذا السؤال وقال متلعثما : - اننى ... طبعا ... لماذا ؟

- مجرد فضول .

ولما لم يجب محدثه استطرد يقول : - اننى اتساءل اذا كان هو يبادلك نفس الشعور .

- ماذا تقصد يا مستر بوارو ؟ ... أهناك فكرة ما تدور برأسك .

- سأكون صريحا معك انك خطيب للآنسة موللى دين ، وهى فتاة ظريفة فائقة .

وقبل خطبتك لها كانت موشكة على الزواج بكلود لاتجدون ، وقد هجرته من أجلك .

أومأ هارسون برأسه موافقا . واستطرد بوارو : - اننى لا أحاول أن أعرف الأسباب ... وهى أسباب لها مبرراتها طبعا ... ولكن لن نكون مبالغين اذا افترضنا ان لاتجدون لم ينس ولم يصفح .

- أؤكد لك انك مخطئ يا مستر بوارو ... كان لاتجدون رياضيا فى تصرفه . لقد تصرف تصرفا ساميا . بل انه حافظ على بصداقته لى .

- ألا يبدو لك ذلك غريبا ... انك استخدمت كلمة الدهشة ومع ذلك فلا أراك مندهشا .

- ماذا تعنى ؟

- ان الرجل يمكن أن يخفى حقده تماما حتى اللحظة التى يراها مناسبة .

- حقده ؟

وهز هارسون رأسه وابتسم . ولكن المخبر السرى قال فى حدة :

- ان الانجليز أغبياء . أنهم يتصورون انهم يستطيعون خداع العالم أجمع ، وأن أحدا لا يستطيع خداعهم ... فالرجل الرياضى ... الكريم ... لن يفكر فى أى سوء من ناحيته أبدا . ولأنهم كرماء يتسمون بالشجاعة والغباء فانهم يموتون بغير داع .

-- انك تحاول أن تحذرنى ... اننى أفهم الآن ... انك أتيت هنا بنية تحذيرى من كلود لاتجدون .

هز بوارو رأسه . وهب محدثه واقفا وقال : انك تخطئ فى حكمك خطأ كبيرا يا مستر بوارو . اننا فى انجلترا ، والعاشق المصدود لا يغمد مدية فى ظهر غريمه سعيد الحظ ، وهو يتوقع دس السم له .. انك تسئ الظن بلاتجدون . ان هذا الشاب لن يؤذى ذبابة .

- ان حياة الذباب لا تهمنى فى شئ . وعلى الرغم من أنك تقول ان مستر لاتجدون

لا يؤدى دبابة فانه يستعد الليلة بالذات لابادة آلاف من الدبابير .

لم يجب هارسون ونهض المخبر السرى يدوره وتقدم فألقى بيده على كتف صديقه . وكان منفعلا لدرجة أنه هز الرجل الضخم وقال له :

– افق يا صاحبى ... افق وانظر الى المنحدر هناك ، خلف هذه الشجرة . انك ترى الدبابير تعود الى وكرها هادئة بعد يوم كله عمل ؟ وفى أقل من نصف ساعة سيهدم وكرها ، ولكنها لا تشتبه فى شئ . ليس هناك من يستطيع أن يحذرها . ليس لديها مثلا هركيول بوارو . أقول لك يا مستر هارسون أن الجريمة هى شاغلى ... قتل أو بعد ارتكابها . قل لى متى سيأتى مستر لانجدون لتدمير عش الدبابير .

– لن يقدم لانجدون أبدا على ...

– متى ؟

– فى الساعة التاسعة . ولكننى مازلت أقول انك مخطئ وان لنجدون لن يقدم ..

– يا لهؤلاء الانجليز !

وأخذ بوارو قبعته وعصاه واجتاز ممر الحديقة ، ولكنه توقف فى منتصفها لكى يقول :

– لن أبقى للمناقشة أكثر من ذلك ، فقد تثير حفيظتى ولكن ثق اننى سأعود فى الساعة التاسعة .

فتح هارسون فمه ولكن المخبر السرى لم يترك له الفرصة لكى يتكلم فقد قال :

– اعلم ما سوف تقول : – ان لنجدون لن يقدم أبدا على مثل هذا العمل . الخ ... آه لن يجرؤ ! ولكن هذا لن يمنعنى من القدوم فى الساعة التاسعة لكى أشاهد تدمير الوكر ... أظن انها رياضة اخرى تمارسونها انتم معشر الانجليز .

ومن غير أن ينتظر جوابا استأنف سيره ودفع الباب الذى يصدر صريرا . واذ خرج الى الطريق أبطأ فى السير واختفى ما كان يغمره من نشاط وارتسمت على ملامحه

أمارات الجد والاضطراب ثم أخرج ساعته من جيبه . كانت الثامنة وعشر دقائق فتمتم يقول :

- أكثر من ثلاثة أرباع الساعة بقليل . اننى لأتسا ل .أليس من الأوفق أن أبقى ؟

وتوقف وهم بأن يعود أدراجه . ولكن احساسا مبهما خامره واستأنف سيره نحو القرية . ومع ذلك فلم يفارقه اضطرابه وهز رأسه مرة أو مرتين فى غير ارتياح .

وقبل التاسعة بقليل كان قد عاد الى مقربة من بيت صديقه . كانت الليلة صافية وهادئة ، ولم تكن هناك أية نسمة تهز أوراق الشجر . كان الجو من الهدوء بحيث بدا أن شرا يوشك أن يقع ... الهدوء الذى يسبق العاصفة .

وحث بوارو خطاه ... أحس فجأة بالقلق والشك ... ولم يدر ما الذى يخشاه .

وفى هذه اللحظة دفع باب الحديقة واندفع منه كلود لاجدون فى خطوات واسعة وما أن شاهد بوارو حتى أجفل وقال :

- أوه ... طب مساء .

- طاب مساؤك يا مستر لاجدون . انك جئت مبكرا .

- معذرة ؟

- هل دمرت وكر الدبابير ؟

- أوه ! ... ماذا فعلت اذن ؟

- تحدثت لحظة مع العجوز هارسون يجب أن أسرع الآن . لم أكن أدرى انك مقيم فى المنطقة يا مستر بوارو .

- جئت لكى أسوى أمرا .

- آه . حسنا . ستجد هارسون فى الشرفة . معذرة . لا أستطيع أن أبقى أكثر من ذلك .

وابتعد فى خطوات سريعة وتأمله بوارو وهو يوشك أن يختفى . شاب عصبى ..

وسيم ولكنه ذو فم رخو ..

- اذن فسأجد هارسون فى الشرفة .. اننى لأتساءل .

ومر من الباب وتقدم نحو البيت . كان هاريسون جالسا فى الشرفة لا يتحرك . بل انه لم يحول رأسه عند اقتراب بوارو .

- آه .. صاح بوارو : - ها أنت سالم ومعافى يا صديقى . أليس كذلك ؟

وبعد لحظة صمت أجابه هارسون فى صوت غريب :

- ماذا كنت تقول ؟

- قلت انك سالم ومعافى .

- سالم ومعافى ؟ ... نعم . ولماذا لا أكون كذلك .

- ألا تشعر بأى سوء به ... يسرنى ذلك .

- عم تتكلم ؟

- عن كربونات الصودا .

اعتدل هارسون فى مجلسه فجأة وقال : - كربونات الصودا ... ماذا تعنى ؟

أبدى المخبر القصير حركة اعتذار وقال : - اننى آسف كثيرا . ولكننى وضعت بعضا منه فى جيبك .

- ولكن لماذا ؟

واذ رأى دهشة محدثه وذهوله قال بوارو فى هدوء كالمدرس الذى يلقن تلميذا درسا صعبا .

- ان ميزة البوليس السرى هو انه كثير الاحتكاك بالمجرمين والأشرار . وفى مقدور هؤلاء أن يعلمونا بأشياء غريبة وعلى جانب كبير من الأهمية . وقد التقيت ذات يوم بنشال لم يرتكب الجريمة التى يتهمونه بها . ولانى تمكنت من براءته فقد شكرنى بالطريقة الوحيدة التى يعرفها ، بأن اخبرنى بحيل مهنته وخدعها .

وبهذه الطريقة تعلمت القدرة على تفتيش جيوب الشخص الذى أريده دون أن يساوره أدنى شك . ذلك بأن أضع يدا على كتفه واتظاهر بالاضطراب وأصيح فلا يحس بشئ . وأعرف كذلك كيف أنقل محتويات جيبه الى جيبى أنا واستبدله بشئ آخر . وفى هذه الحالة بالذات استبدلت ما فى جيبك بيكربونات الصودا .

وأردف يقول فى لهجة حالمة : - اذا أراد رجل أن يحصل مثلا على سم وفى نيته أن يدسه فى كوب ما دون أن يلحظه أحد ، فانه يحتفظ به بالضرورة فى جيب جاكتته الأيمن . واذ أدركت ذلك لم أجد أية صعوبة فى القيام بلعبتى الصغيرة .

وأخرج من جيبه بضع حبات من الكريستال الأبيض تأملها وهو يقول :

- وانه لطيش كبير أن تضع فى جيبك سيانور البوتاسيوم بهذه الطريقة .

وفى هدوء أخرج من جيب من جيوبه زجاجة عريضة ذات عنق واسع وضع فيها حبات الكريستال ، ثم ملأ الزجاجة بالماء وسدها وراح يهزها حتى ذابت الحبوب البيضاء . وراح هاريسون ينظر اليه مسحورا وهو يقوم بذلك .

وبعد أن تأكد من نتيجة عمله مضى الى الشجرة التى يقع فيها وكر الدبابير ورفع السدادة عن الزجاجة ، وأدار رأسه وصب السائل فى الوكر ثم ارتد خطوة الى الوراء وراح يتأمل المنظر الذى أمامه .

كانت بعض الدبابير قد عادت الى وكرها فى تلك اللحظة وما كادت تحط على عتبة الوكر حتى اهتزت وسقطت صريعة . وخرج البعض الآخر من الوكر زاحفا لكى يلاقى حتفه على الفور . وهز بوارو رأسه وعاد الى الفراندة واكتفى بأن قال :

- ميتة سريعة .

واستطاع هاريسون أن ينطق أخيرا فقال : - ماذا تعرف بالتحديد ؟

- كما سبق أن قلت لك فقد رأيت اسم كلود لانجدون فى سجل السموم أما ما لم أذكره لك فهو اننى التقيت به بعد ذلك بقليل ، وبمحض صدفة فأخبرنى بأنه اشترى

بعضا من سيانور البوتاسيوم بناء على طلبك ، لتدمير وكر الدبابير . وقد أدهشنى ذلك بعض الشئ فقد تذكرت ذلك المساء الذى التقينا فيه عندما تكلمت عن مزايا البترول واستهجنت استخدام سيانور البوتاسيوم لأنه شديد الخطر .

- استمر .

- وقد راقبت كلود لانجدون ومولللى دين وهما يظنان انهما بعيدان عن أعين الرقباء . ولا أدرى لأى سبب اختلفا ولماذا ألقت الفتاة بنفسها بعد ذلك بين ذراعيك . ولكننى وأنا أنظر اليهما أدركت على الفور انهما نسيا خلافهما وان مس دين عادت الى حبيبها .

- وبعد ؟

- وكنت أعرف شيئا آخر كذلك يا صديقى . فقد كنت أمر منذ أيام فى شارع هارلى ورأيتك وانت تخرج من عيادة طبيب أعرف تخصصه . ورأيت التعبير الذى انطبع على وجهك عندئذ . وهو تعبير لم أر مثيله الا مرة أو مرتين فى حياتى ، ومع ذلك فأننى لا أستطيع أن أنساه . كنت تشبه الرجل الذى سمع لتوه الحكم عليه بالموت. اننى لست مخطئا ، أليس كذلك ؟

- قال لى اننى لن أعيش أكثر من شهرين .

- انك لم تعرفنى عندئذ لأنك كنت تفكر فى أمور أخرى . وشاهدت فى عينيك شعورا كذلك الشعور الذى يحاول الرجال عادة التغلب عليه وهو الشعور بالحق . وكذلك لم تكن تحاول أخفاءه ، ذلك لأنك لم تكن تظن أن هناك من يراك .

- استمر .

- لم يبق الكثير . كنت أمر اليوم بالمنطقة ورأيت اسم لانجدون فى سجل الصيدلى ، وكما قلت لك كنت قد التقيت به قبل أن آتى لزيارتك . ونصبت لك الفخ ، فأنكرت ذلك وطلبت من لانجدون أن يشترى لك سم السيانور ، أو بمعنى آخر تظاهرت

أى حد يمكن شهادتى أن تكون ذات تأثير فى صالحك ، فحاولت تعزيز شكوكى ، وكنت أعرف من لانجدون نفسه انه يجب أن يأتى الى هنا فى منتصف التاسعة . وقد قلت لى أنت انه سيأتى فى التاسعة ظنا منك اننى سأحضر لكى أعاين الأحداث .

– لماذا أتيت . ؟ . لماذا ؟

اعتدل بوارو فى جلسته وقال : – قلت لك اننى أتيت لأن الجريمة شاغلى .

– جريمة القتل ؟ .. قل انك تقصد الانتحار ...

– أوه ، كلا . انما أقصد القتل . كان المفروض أن يكون موتك سريعا وسهلا ولكن الموت الذى كنت تدخره للانجدون كان أسوأ ما يمكن أن يحتمله انسان فقد اشترى السم وحضر لزيارتك وبقى معك وحده . ثم تموت فجأة ويعثرون على السياتور فى كأسك ، فيدفع كلود لانجدون حياته ثمنا لموتك ... كانت هذه هى خطتك ؟ أليس كذلك ؟

ومرة أخرى تأوه هارسون وقال : – لماذا أتيت ؟

– لأن ذلك كان واجبى . ومع ذلك فقد حملنى الى المجئ سبب آخر . هو اننى أميل اليك . اسمع يا هارسون . انك مصاب بداء عضال لا علاج له كما انك فقدت الفتاة التى تحبها ، ولكنك لست قاتلها صارحنى القول الآن هل استراح ضميرك أم انك لا تزال تندم على اننى أتيت ؟

لزم هارسون الصمت مدة طويلة ثم اعتدل وقد انبسطت أساريره وبدا عليه الهدوء والوقار كرجل تغلب على حبه ، وبسط يده قائلا :

– الحمد لله انك أتيت فى الوقت المناسب يا مستر بوارو .

***

سر اختفاء الخادمة

كان من عادتى ، فى الوقت الذى كنت أشارك فيه صديقى هركيول بوارو مسكنى أن أقرأ له عناوين جريدة الديلى وسباتس التى تظهر فى الصباح .

والديلى وسباتس جريدة تحاول أثارة الجماهير بشتى الطرق . انباء السرقات وجرائم القتل فى صفحاتها الأخيرة ، وانما كانت تبدو للعيان فى الصفحة الأولى وبحروف كبيرة .

موظف فى بنك يختفى ومعه بما قيمته خمسون ألف جنيه من السندات القابلة للبترول .

زوج ينتحر بأن يضع رأسه فى فرن الغاز لأنه كان تعسا فى حياته الزوجية .

اختفاء كاتبة اختزال حسناء فى الواحدة والعشرين من عمرها ... أين ذهبت ادنافيلد ؟

والآن قلت لصديقى :

– عليك أن تختار يا بوارو ... موظف بنك هارب ...أو حادث انتحار غامض ... أو اختفاء فتاة ... ما الذى يثير اهتمامك فى ذلك ؟

كان صديقى معتدل المزاج فى ذلك اليوم فهز رأسه وقال :

– لا يثير اهتمامى شئ من كل هذا يا عزيزى هاستنجز ، فاننى اليوم اميل الى الكسل . ولابد من شئ غير عادى لكى يشدنى من مقعدى ... ان لدى مسائل خاصة على جانب كبير من الأهمية أريد تسويتها .

– وما هى ؟

- يجب أن أفكر فى ثيابى أولا . فهناك اذا لم أكن مخطئا بقعة من الدهن على جاكتتى الرمادية لحلتى الجديدة . حقيقة انها بقعة واحدة ولكنها تكفى لازعاجى ثم هناك معطفى الشتوى ويجب أن أرشه بمسحوق مضاد للعتة . وأظن ... نعم ، أظن أن الوقت قد حان لكى أعنى بشاربى ، ويجب أن أدلكه بالدهان .

قلت وانا أمضى الى النافذة : - حسنا .. أعتقد انك لن تستطيع أن تقوم بهذا البرنامج المثير ، فاننى أسمع نفس جرس الباب ولا ريب انه عميل أقبل من أجلك .

قال بوارو فى هدوء : - ما لم تكن للقضية التى يأتينى بها أهمية وطنية فاننى لن أهتم بها .

وبعد لحظة دخلت الغرفة سيدة بدينة متوردة الوجه ، وكانت تلهث مما يدل على أنها صعدت السلم بسرعة وقالت وهى تتهالك فوق مقعد :

- هل أنت مستر بوارو ؟

- نعم ... أنا هركيول بوارو .

قالت الزائرة وهى تتأمله بعينى فاحصة : انك لست كما تصورت أبدا . أتراك دفعت ثمن ما ذكرته بتلك الجريدة من انك مخبر سرى ممتاز ؟ ... أم هو المحرر الذى كتب عنك ذلك من تلقاء نفسه ؟

قال بوارو وهو ينهض واقفا : - سيدتى !

- معذرة ، ولكنك تعرف جرائد اليوم ، فما أن تبدأ بقراءة مقال مثير ، ماذا قالت العروس لصديقتها العزباء ... حتى تجد نفسك أمام اعلان لمعجون أسنان ... مجرد خداع ... ولكن أرجو ألا أكون قد أسأت اليك . سأقول لك ماذا أريد أن تفعل من أجلى ... أريد أن تعثر لى على طاهيتى .

نظر بوارو اليها مليا دون أن تسعفه بديهته بالرد المناسب . فى حين أشحت بوجهى لكى أخفى الابتسامة واستطردت المرأة تقول :

- هذه الأفكار الحديثة هى السبب ، فهى تدير رءوس الخادمات ، أن كلا منهن تريد أن تصبح موظفة فى مكتب أو شئ من هذا القبيل اننى أتمنى أن أعرف مم تشكو طاهيتى ، فهى حرة بعد الظهر وليلة كل أسبوع . وأجازة يوم كامل كل أسبوعين . وهى تأكل من نفس طعامى ... ثم اننى لا أطهو طعامى بالسمن الصناعى وانما بأجود أنواع الزبد ... الزبد الطبيعى .

وتوقفت لكى تسترد أنفاسها ، وانتهز بوارو هذه الفرصة لكى يرد عليها بلهجته المتعالية وهو يهب واقفا :

- سيدتى . أظن انك أخطأت ... اننى لا أهتم بالبحث عن الخدم ... اننى مخبر سرى .

أجابته الزائرة : - اننى أعرف ذلك . ألم أقل لك اننى أريد أن تعثر لى على طاهيتى ؟ ... انها غادرت البيت يوم الأربعاء الماضى دون أن تترك كلمة واحدة ولم تعد حتى الآن .

- اننى آسف يا سيدتى . ولكننى لا أهتم بهذا النوع من القضايا . مع السلامة يا سيدتى .

صاحت السيدة تقول فى استياء : - آه اذن . فالأمر كذلك ؟ ... متكبر ومتعجرف ... لاتهتم الا بالأسرار الحكومية ومجوهرات الطبقة الراقية ! ولكننى أقول لك ان الخادمة مهما يكن من أمرها ، لها قيمة تفوق قيمة عقد من الماس بالنسبة لامرأة مثلى . لا يمكن أن نكون جميعا من الطبقة الراقية وأن ننتقل فى سيارات كاديلاك ونتحلى بالمجوهرات البراقة . ان الطاهية الجيدة طاهية ثمينة واذا أنت فقدتها فان معنى ذلك انك فقدت شيئا عزيزا ، تماما كما تفقد سيدة من الطبقة الراقية عقدا من الماس .

نظر بوارو اليها فى وقار محاولا أن يتغلب على عواطفه ، وأخيرا راح يضحك ثم جلس وهو يقول :

- انك على حق يا سيدتى . وملاحظاتك عادلة وحكيمة . ستكون هذه القضية نوعا جديدا بالنسبة لى ، فلم يسبق لى أن بحثت عن طاهية مفقودة . وانها لقضية على جانب من الأهمية الوطنية تماما كما كنت أطلبها منذ لحظات . اذكرى لى قصتك اذن ... تقولين ان طاهيتك النفيسة خرجت يوم الأربعاء ولم تعد ... معنى هذا انها خرجت أول أمس .

- نعم . وهو يوافق يوم أجازتها الاسبوعية .

- ولكن لعلها أصيبت فى حادث . هل بحثت عنها فى المستشفيات ؟

كان هذا اعتقادى بالأمس ، ولكنها بعثت صباح اليوم بمن أخذ حقيبتها ، ولم تكتب لى كلمة واحدة . ولو اننى كنت موجودة بالبيت لما مر الأمر بمثل هذه السهولة... يا لها من جرأة ... ولكننى كنت عند الجزار .

- هل يمكنك أن تصفيها لى ؟

- انها امرأة فى منتصف العمر ، بدينة ، ذات شعر وخطه الشيب رزينة جدا ، وقد أمضت فى وظيفتها السابقة عشر سنوات ، واسمها اليزا دان .

- ألم يقع بينكما أى خلاف يوم الأربعاء ؟

- أبدا ؟ وهذا هو ما يجعلنى لا أجد سببا لرحيلها .

- كم خادمة لديك يا سيدتى ؟

- اثنتان ... الطاهية ... وخادمة أخرى اسمها آنى ، وهذه الأخيرة فتاة رقيقة طائشة نوعا ما وكثيرة التفكير فى الرجال . ولكنها تجيد عملها اذا أنت راقبتها جيدا .

- هل كانت علاقتها طيبة مع الطاهية .. ؟

- كانتا تتشاجران أحيانا ، ولكنهما بصفة عامة كانتا متفاهمتين .

- ألا يمكن لهذه الفتاة القاء بعض الضوء على هذا السر ؟

- تقول انها لا تعرف شيئا ... ولكنك تعرف خدم اليوم ... أنهم يساندون بعضهم

البعض .

- حسن يا سيدتى . يجب أن أتحقق من الأمر عن كثب ... أين تقيمين ؟

- فى رقم ٨٨ شارع البرنس البيرت بكلابهام .

- حسنا يا سيدتى . الى الملتقى الآن ، وسآتى لزيارتك خلال النهار .

انصرفت زائرتنا ، واسمها مسز تود ، ونظر بوارو الى فى شئ من الأسى وقال :

- حسنا يا هاستنجز ... هذه قضية من نوع جديد ... اختفاء طاهية كلابهام ... كلا ، كلا . لا يجب أن يسمع صديقنا جاب شيئا عن هذه القضية .

وعلى أثر هذه الكلمات وضع المكواة على النار ثم أزال بقعة الدهن من جاكتته الرمادية بعناية فائقة مستعينا بورقة نشاف . أما العناية بشاربه فقد أرجأها الى ما بعد وانتقلنا بعد ذلك فى طريقنا الى كلابهام .

كان شارع البرنس البرت تحف به من الجانبين مجموعة من البيوت الجميلة الصغيرة المتشابهة ، تكسو نوافذها ستائر من الدانتيلا المكساة ومقابض أبوابها من النحاس البراق .

وضغطنا على جرس المنزل رقم ٨٨ ففتحت لنا الباب خادمة حسنة المظهر وظهرت مسز تود خلفها وصاحت :

- لا تنصرفى يا آنى . ان هذا السيد مخبر سرى وسيلقى عليك بضعة أسئلة .

نمت ملامح الفتاة عن شئ من القلق مشوبا بالفضول . وقال بوارو وهو ينحنى :

- أشكرك يا سيدتى . أريد أن استجوب الآنسة فورا ، وأفضل أن أراها على انفراد ، اذا سمحت .

صحبتنا مسز تود الى غرفة استقبال صغيرة ثم انصرفت على مضض ظاهر . وبدأ بوارو استجوابه فقال :

- اعلمى يا آنسة ان كل ما ستدلين به سيكون له أهمية كبرى . وأنت وحدك فى

مقدورك القاء الضوء على هذه القضية ، ومن غير مساعدتك لن أستطيع شيئا .

زال القلق عن وجه آني وازداد فضولها وقالت :

- طبعا يا سيدى ، سأذكر لك كل ما أعرف .

قال بوارو وهو يبتسم فى ارتياح : حسن جدا . أول كل شئ ما رأيك فى كل هذا أنت فتاة ذكية جدا وهذا واضح لكل ذى عينين . ما رأيك فى اختفاء اليزا .

شجعها قوله هذا فاندفعت تقول على الفور : - انها تجارة الرقيق الأبيض يا سيدى... كنت أقول هذا دائما . كانت اليزا تحذرنى دائما من هذا الأمر ، فكانت تنصحنى قائلة لا تشمى أى عطر يقدمه لك رجل غريب ولا تقبلى حلوى حتى ولو بدا الشخص الذى يقدمها لك مهذبا ظريفا . هذا ما كانت تنصحنى به وها هى الآن تقع بين أيدى هذه الطغمة . ولا ريب انها الآن فى الطريق الى تركيا أو الى احدى بلاد الشرق حيث يفضلون النساء البدينات .

احتفظ بوارو بوقاره وقال :

- الواقع ان هذا احتمال ممكن . ولكن اذا كان هذا قد حدث حقا فلماذا أرسلت من يأخذ حقيبتها ؟

- لا أدرى يا سيدى . كان لابد لها من ثيابها حتى فى تلك البلاد البعيدة .

- من الذى جاء ليأخذ حقيبتها ؟ ... أهو رجل ؟

- انه كارتر بيترسون يا سيدى .

- وهل أنت التى وضعت ملابسها فى الحقيبة ؟

- كلا يا سيدى . كانت الحقيبة معدة ومحزومة بحبل .

- آه . هذا أمر هام يدل على أنها عندما غادرت المنزل يوم الأربعاء لم يكن فى نيتها أن تعود ... فهل توافقين على ذلك ؟

بدا الاضطراب على آنى لحظة ثم قالت : - كلا يا سيدى ... لم يخطر لى ذلك

أبدا .

واردفت تقول فى لهجة مليئة بالأمل . ولكن لعل تجار الرقيق هم الذين اختطفوها يا سيدى .

قال بوارو فى جد : لاشك فى ذلك .

واستطرد : - هل كانت تقيم معك فى نفس الغرفة التى تقيمين فيها ؟

- كلا يا سيدى . ان لكل منا غرفة خاصة .

- ألم يحدث أن قالت لك أنها مستاءة من وظيفتها ؟

هل كانت راضية بعملها هنا ؟

- انها لم تبد رغبتها فى الرحيل أبدا . ان الوظيفة طيبة و ... ترددت الفتاة قليلا فقال يستحثها :

- لا تخشى شيئا ... لن أذكر أى شئ لسيدتك .

- حسنا . ان سيدتى امرأة غريبة الأطوار ، ولكن الطعام شهى وهى تسخو فى تقديمه لنا . واذا كانت اليزا قد أرادت أن تذهب الى مكان آخر فاننى واثقة انها ما كانت لتغادر المنزل بهذه الطريقة ولتغيبت حتى آخر الشهر . ان بمقدور سيدتى أن تمنع عنها مرتب الشهر بعد أن أقدمت على هذا الأمر .

- والعمل ؟ ... أهو شاق ؟

- حسنا ... ان السيدة والحق يقال امرأة مخبولة انها تدس أنفها فى كل وقت فى كل مكان لكى ترى اذا كان هناك غبار . ثم هناك ذلك المستأجر أو الضيف الذى يدفع كما تحب هى أن تدعوه ، ولكنه لا يتناول غير وجبتى الافطار والعشاء كما يفعل سيدى ، فهما يقضيان طوال النهار فى لندن .

- انك تحبين سيدك طبعا ؟

- لا بأس به ... هادئ جدا ، وليس بخيلا .

– أظنك لا تذكرين آخر كلمات اليزا قبل مغادرتها المنزل ؟

– بل أذكرها جيدا ، فقد قالت : – اذا تبقى شئ من مربى الخوخ بعد الغداء فيمكن تناوله فى العشاء ، وسأقوم بتحمير بعض البطاطس مع اللحم .. كانت تعبد مربى الخوخ . ولا يدهشنى اذا كانوا قد استمالوها بهذه الطريقة .

– هل كان يوم الأربعاء يوم أجازتها عادة ؟

– نعم . كانت تخرج كل يوم أربعاء . أما أنا فأجازتى يوم الخميس .

ألقى بوارو عليها بضعة أسئلة أخرى ثم عبر لها عن رضاه . وصرفها وهنا أقبلت مسز تود على الفور وعيناها تبرقان فضولا : وقد أحسست انها امتعضت جدا لاخراجها من الغرفة أثناء استجوابنا لأنى . ورأى بوارو أن يضع شيئا من البلسم على الجرح الذى أصابها فى كرامتها فقال :

– ان من العسير على امرأة ذكية مثلك يا سيدتى أن تحتمل الوسائل المصرحة التى نلجأ اليها نحن المخبرون السريون ، ومن المتعذر أن يتجمل المرء الذكى بالصبر اذا ما تعامل مع الحمقى والأغبياء .

واذ خففت من مشاعر مسز تود بهذا القول انتقل الى الحديث عن زوجها وعلم منها انه يعمل باحدى الشركات بلندن وانه لا يعود الى بيته قبل السادسة مساء .

– لاريب انه منزعج وشديد القلق بسبب هذه القضية الغريبة ، أليس كذلك ؟

أجابت مسز تود : – هو ؟ ... ليس هناك ما يزعجه على الاطلاق . لم يزد على انه قال : ابحثى لك عن طاهية اخرى غيرها . انه شديد الهدوء بحيث يثير أعصابى فى أغلب الأحيان وقد قال : انها امرأة جاحدة ... الى حيث ألقت .

– والمستأجرون الآخرون يا سيدتى ؟

– هل تعنى مسز سيمبسون ؟ ... ضيفنا الذى يدفع أجر اقامته ؟ ... اوه طالما هو يتناول افطاره وعشاءه فانه لا يهتم بشئ آخر .

- وما هى مهنته يا سيدتى ؟

- انه يعمل فى أحد البنوك .

وذكرت لنا اسم البنك وما كادت تفعل حتى أجفلت فقد عاد الى ذهنى عنوان جريدة الديلى ديسبانس .

وسألها بوارو :

- هل هو شاب فى مقتبل العمر ؟

- أظن انه فى الثامنة والعشرين من عمره ، وهو شاب رقيق وهادئ جدا .

- أود أن أقول له كلمة ، ولزوجك أيضا . سأعود هذه الليلة اذا استطعت ، وانصحك أن تستريحى وتستجمى قليلا يا سيدتى فاننى أراك متعبة جدا .

- هذا صحيح ، فقد استبد بى القلق بخصوص اليزا . ثم اننى ذهبت واشتريت أشياء كثيرة أمس ولا شك انك تعرف معنى هذا يا مستر بوارو فقد أصبح من المتعذر الحصول على الضروريات ، ثم ان المنزل يحتاج الى مجهود شاق ، لأن آنى لا تستطيع طبعا أن تقوم بكل شئ وأخشى أن تفارقنى هى الاخرى بعد كل ما حدث . اننى متعبة جدا .

تمتم بوارو ببضع كلمات يعبر بها عن عطفه ثم انصرفنا معا . وقلت :

- انها مناسبة غريبة ! ولكن ذلك الموظف الهارب كان يعمل فى نفس البنك الذى يعمل به سيمبسون . أتظن ان هناك علاقة ما ؟

ابتّسم بوارو وقال : - موظف هارب من ناحية ، وطاهية مختفية من ناحية اخرى . من العسير أن تجد علاقة بين الأمرين ما لم يكن دافيس قد قام بزيارة سيمبسون وهام بالطاهية واقنعها على الهرب معه .

رحت أضحك ولكن بوارو احتفظ بهدوئه وقال معاتبا :

- كان فى مقدوره أن يفعل أكثر من هذا . تذكر يا هاستنجز انك اذا فكرت يوما

فى أن تعتزل فى مكان ما ، فان الطاهية الخبيرة تستطيع أن ترفه عنك أكثر من أية فتاة جميلة .

وامسك لحظة ثم قال : - هذه قضية غريبة مملوءة بالمتناقضات . انها تثير اهتمامى... نعم تثير اهتمامى كثيرا .

وفى نفس الليلة عدنا الى البيت رقم ٨٨ بشارع البرنس البيرت وتبادلنا الحديث مع تود وسيمبسون . كان الأول رجلا كئيبا فى الأربعين من عمره ، وقال فى غموض :

- اوه ، نعم . اليزا ... نعم ... أعتقد انها طاهية قديرة تميل الى الاقتصاد ، وأنا أحب الاقتصاد كثيرا .

- هل ترى سببا لرحيلها هكذا فجأة ؟

تمتم مستر بوارو : - أوه .. انك تعرف الخدم . ان زوجتى قلقة وتعيش على أعصابها مع أن المسألة بسيطة جدا ، فقد قلت لها أن تبحث عن غيرها . هذا كل ما يمكننا عمله ، فليس هناك أية جدوى من الشكوى والنواح .

ولم يقدم لنا مستر سيمبسون معونة تذكر فقد كان شابا بادى الخجل يضع عوينات على وجهه وقال :

- أظن اننى رأيتها ... وأعتقد انها امرأة متقدمة فى السن . أما الخادمة التى أراها كثيرا فهى آنى . وهى فتاة مهذبة وظريفة جدا .

- هل كانت المرأتان متفقتين ؟

لم يكن سيمبسون واثقا وأجاب بأنه يظن ذلك .

وقال بوارو وهو يغادر البيت : - حسنا ، اننا لم نعرف شيئا هاما يا صديقى .

وكانت مسز تود قد أخرت انصرافنا شيئا ما بثرثرتها ، وكانت قد أعادت على أسماعنا كل ما سبق أن ذكرته لنا ولكن فى اسهاب . قلت لبوارو :

- هل خاب ظنك ؟ ... أكنت تنتظر أن تعرف شيئا ؟

هز بوارو رأسه وقال : - كان هذا محتملا ولكننى لم أتوقع شيئا أبدا .

وكان الحدث الذى وقع بعد ذلك رسالة استلمها بوارو فى صباح اليوم التالى ما كاد يقرأها حتى اضطرم وجهه سخطا وناولها لى ، وكان هذا نصها :

' تأسف مسز تود أن تخبر مستر بوارو انها لم تعد بحاجة الى خدماته ، فقد ناقشت الموضوع مع زوجها وانتهت الى نتيجة هى انه من المضحك أن تستخدم مخبرا سريا فى مسألة منزلية لا أكثر . ومسز تود ترفق برسالتها هذه شيكا بمبلغ جنيه مقابل الاستشارة . .

صاح بوارو فى صوت غاضب : - آه .... آه ... وتعتقد انه يمكنها أن تتخلص من هركيول بوارو هكذا ؟ ... اننى أسدى لها خدمة ، وخدمة جليلة بأن اهتم بقضية تافهة فتتخلص منى بهذه الصورة ! أظن أن مستر تود هو الذى نصحها بذلك ، ولكننى لن أقبل ... لن أقبل أبدا . سأنفق من مالى الخاص اذا اقتضى الأمر لكى أجلو سر هذه القضية .

قلت : - وكيف ذلك ؟

هدأ بوارو قليلا وقال : - سنبدأ بأن ننشر اعلانا فى الجرائد ... انتظر ... نعم... من هذا القبيل :

اذا اتصلت اليزا دان بالعنوان المذكور فى هذا الاعلان فسوف تعرف شيئا فيه ربح لها .

وأردف يقول : - أما أنا فسأقوم بتحريات بسيطة من ناحيتى . يجب أن أنصرف بأسرع ما يمكن .

ولم أره بعد ذلك الا فى المساء . وقد تنازل عندئذ فذكر لى ما فعله فقال :

- ذهبت وتحريت عن الشركة التى يعمل بها مستر تود . انه لم يتغيب يوم الأربعاء ويتمتع هناك بسمعة طيبة . هذا من ناحيته . أما مستر سيمبسون فقد كان

مريضا يوم الخميس ولم يذهب الى البنك . ولكنه كان موجودا يوم الأربعاء ، ولم تكن تربطه بدانيس صلة وثيقة . ولا شئ غريب فى كل هذا . كلا ... أظن انه يجب أن نعلق آمالنا على الاعلان .

وظهر الاعلان كما هو متوقع فى أهم الصحف اليومية . وطبقا لتعليمات بوارو كان من المتفق عليه أن يستمر صدوره لمدة اسبوع كامل . وكان الاهتمام الذى أبداه فى هذه القضية العادية التى عرفت باسم قضية الطاهية المختفية اهتماما غريبا . ولكننى أدركت أن حرصه على كرامته هو الذى جعله يواظب على نشر هذا الاعلان الى أن يأتى بنتيجة ما . وقد عرضت عليه قضايا كثيرة هامة فى تلك الأثناء ولكنه رفضها جميعها ... وكان يسرع فى كل صباح الى رسائلة ويفحصها فى لهفة ثم يتركها وهو يتنهد .

وكوفئنا على صبرنا فى النهاية ، ففى يوم الأربعاء التالى لزيارة مسز تود لنا أتتنا صاحبة المنزل وقالت أن امرأة اسمها اليزا دان تريد أن تلتقى بنا وصاح بوارو على الفور :

– أخيرا .. دعيها تدخل .. حالا .. حالا .. أسرعى ..

وأسرعت صاحبة البيت بالخروج وهى فى دهشة ثم عادت بعد لحظة تتبعها اليزا دان . وكانت أوصاف هذه الأخيرة مطابقة للأوصاف التى ذكرتها لنا مسز تود تماما .. طويلة القامة ورزينة جدا .

وقالت :

– أتيت ردا على الاعلان . خطر لى انه لابد أن هناك خطأ ما لعلك لا تعرف أننى تسلمت ميراثى ؟

نظر بوارو اليها فاحصا فى عناية شديدة ثم قدم لها مقعدا وقال :

– الواقع أن مخدومتك مسز تود كانت شديدة القلق عليك . كانت تخشى أن

يكون قد وقع لك حادث .

بدا عليها الذهول وقالت : - اذا فهى لم تتسلم رسالتى ؟

قال بوارو : - انها لم تتسلم شيئا منك .

وأمسك لحظة ثم استطرد فى اقناع : ألا تريدين أن تذكرى لى القصة كلها ؟

لم تكن اليزا بحاجة الى تشجيع لأنها اندفعت تقول على الفور :

- كنت عائدة الى البيت مساء يوم الأربعاء عندما استوقفنى رجل له لحية قصيرة ويلبس قبعة كبيرة وسألنى : " ألست أنت مس اليزا دان ؟ " ولما أجبته بالايجاب قال : " اننى استفسرت عنك فى البيت رقم ٨٨ فقيل لى اننى قد التقى بك فى الطريق .. مس دان اننى قادم من استراليا لكى التقى بك بالذات . هل تعرفين اسم جدتك لأمك قبل أن تتزوج " . فقلت له : " نعم . اسمها جين ايموت " . فقال : " تماما ولكن أظنك لا تعرفين أن جدتك كانت صديقة حميمة لروزالين ليتس ، وقد سافرت هذه الأخيرة الى استراليا وتزوجت هنا برجل ثرى ، ومات ولداها وهما صغيران فورثت كل أملاك زوجها . وقد ماتت هى منذ بضعة شهور وأوصيت لك ببيت فى انجلترا وبمبلغ كبير من المال "

واستطردت اليزا تقول : - وقد صعقت عند سماعى هذا النبأ . وانتابتنى الشكوك ولكن يبدو أنه لحظ ذلك لأنه ابتسم وقال :

- ها هى أوراق اعتمادى .

وأعطانى رسالة صادرة من مكتب للمحاماة بملبورن باسم هرست وكروتشيت . وبطاقة .. تثبت أنه هو مستر كروتشيت وقد أردف يقول :

- " ولكن هناك ثمة شروط ، فان عميلتنا كانت غريبة الأطوار كما تعرفين وهناك نص فى الوصية يشترط أن تستولى على البيت غدا قبل الظهر ، وهو يقع فى كمبرلاند . أما الشرط الثانى فلا أهمية له تقريبا فهو ينص على انه يجب ألا تكون مهنتك هى الخدمة " . واتسعت عيناى وقلت " أوه يا مستر كروتشيت ولكننى أعمل

طاهية . ألم يخبروك بذلك فى البيت ؟ " فقال : يا الهى ! ... يا الهى ! .. لم أكن أعرف ذلك .. خطر لى انك ربما تكونين وصيفة أو مدبرة للبيت .. هذا أمر محزن .. محزن جدا فى الواقع " .

وسألته فى شئ من القلق : - هل سأفقد كل هذه الثروة ؟

وفكر لحظة ثم قال أخيرا : - " هناك وسيلة للتحايل على القانون دائما يا مس دان . ونحن المحامون نعرف ذلك جيدا . ان الوسيلة الوحيدة للخروج من هذا المأزق هو أن تقولى أنك تركت مهنتك بعد ظهر اليوم بالذات " . فقلت له : " ولكن يجب أن أخبر مخدومتى قبل أن أتركها بشهر " . فقال : أى عزيزتى مس دان .. يمكنك أن تتركى العمل فى أي وقت تشائين اذا انت تنازلت عن مرتبك ، وستقدر مخدومتك موقفك اذا ما عرفت ظروفك ولكن الصعوبة أمامنا الان هى عنصر الوقت . لابد أن تستقلى قطار الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة من محطة كنجز كروس . وأستطيع أن أقرضك عشرة جنيهات لهذه الرحلة ، وفى المحطة يمكنك أن تكتبى كلمة لمخدومتك وسأذهب أنا بنفسى لكى أسلمها لها ، وسأذكر لها الظروف التى مررت بها " . وقد قبلت ما عرضه على طبعا . وبعد ساعة كنت فى القطار وكنت شديدة الانفعال بحيث لم أدرك حقيقة ما وقع لى . والواقع أننى عندما وصلت الى كمبرلاند كنت أعتقد أننى وقعت ضحية مؤامرة من تلك التى تنشر الجرائد أنباءها .

ولكننى ذهبت الى العنوان الذى ذكره لى وكان عنوان محام حقا وهناك وجدت كل شئ على ما يرام .. بيت صغير جميل ودخل مقداره ثلاثمائة جنيه فى السنة .

ولكن ذلك المحامى لم يكن يعرف الشئ الكثير فقد جاءته رسالة من شخص ما فى لندن يوصيه فيها بأن يسلمنى البيت ومائة وخمسين جنيها عن الشهور الستة الأولى . وقد أرسل لى مستر كروتشيت حاجياتى ولكن لم يأتنى شئ من مخدومتى ، وقد حسبت أنها غير راضية عنى وأنها تحسدنى لحسن حظى . وقد أرسلت الى حاجياتى

ملفوفة فى بعض الجرائد ولكن اذا كانت لم تتسلم رسالتى حقا فلا شك أنها تسئ الظن بى " .

أصغى بوارو اليها فى اهتمام ، وعندما فرغت أحنى رأسه فى ارتياح شديد وقال :

– شكرا لك يا مسز دان . لقد وقع خطأ بسيط كما تظنين . اسمحى لى ان أقدم لك تعويضا عن ازعاجى لك .

وناولها مظروفا وهو يقول : – هل تعودين الى كمبرولاند فورا ؟ لى نصيحة لك هى ألا تنسى طرق الطهى اذ يجب ان يجد المرء مخرجا دائما اذا ما ساءت الأمور .

***

وتمتم يقول بعد انصراف مسز دان :

– انها امرأة ساذجة ، ولكن لعلها ليست أكثر سذاجة من غيرها .

وأردف يقول وقد اتسم وجهه بامارات الجد : تعال يا هاستنجز . لا يجب أن نضيع أى وقت . استدع سيارة أجرة ريثما اكتب انا كلمة للمفتش جاب .

ووجدت بوارو فى انتظارى بباب البيت عندما عدت بسيارة الأجرة فسألته : – أين نذهب ؟

– سأرسل هذه الكلمة أولا مع رسول خاص .

وبعد أن فرغ بوارو من ذلك عاد الى السيارة وذكر للسائق عنوان البيت رقم ٨٨ بشارع البرنس البيرت بكلابهام .

– نحن ذاهبان هناك اذن ؟

– نعم . وان كنت أعتقد صراحة اننا سنصل متأخرين . لاريب أن عصفورنا قد طار يا هاستنجز .

– ومن هو عصفورنا هذا ؟

ابتسم بوارو وقال :

- مستر سيمبسون بالطبع .

- ماذا ؟

- لا تقل لى انك لم تفهم ؟

أجبت فى استياء : اننى فهمت أنهم تخلصوا من الطاهية ، ولكننى لا أفهم لماذا أراد سيمبسون أن يبعدها عن البيت . هل تعرف شيئا عنه ؟

- أبدا .

- اذن ؟

- كان يريد شيئا تمتلكه هى .

- هل تعنى الثروة ؟ .. ذلك الميراث الذى جاءها من استراليا ؟

- كلا يا صديقى .. أبدا .

وأمسك لحظة ثم قال فى خطورة : بل حقيبة معدنية قديمة .

نظرت اليه نظرة جانبية وقد اذهلنى رده وخيل لى انه يتهكم على . ولكنه كان مجدا كل الجد فقلت :

- ولكن كان فى مقدوره أن يشترى حقيبة لو انه أراد ذلك حقا .

- لم يكن يَريد حقيبة جديدة .. بل كان يريد حقيبة قديمة .. لا تثير الشك .

صحت : - اصغ الى يا بوارو .. انك تتمادى فى مزاحك .

نظر الى فى هدوء وقال : - انك تفتقر الى عقل وخيال مستر سيمبسون يا هاستنجز . اصغ الى ، لقد استمال مستر سيمبسون الطاهية يوم الأربعاء الماضى وأوقعها فى الفخ .. ببطاقة مطبوعة باسم مستعار ورسالة مكتوبة وعلى رأسها عنوان باستراليا ليس من السهل التحايل والحصول عليها . وهو مستعد لأن يدفع مائة وخمسين جنيها وايجار بيت لمدة سنة لكى يضمن نجاح خطته . ومس دان لا تعرفه ،

بعد أن تنكر وظهر لها بلحيته القصيرة وقبعته ولهجته الاسترالية .. هذا ما حدث يوم الأربعاء تقريبا فيما عدا شئ آخر هو أن مستر سيمبسون اختلس خمسين ألف جنيه من البنك فى ذلك اليوم .

* * *

– سيمبسون ؟ .. ولكن دانيس هو الذى اختلس المبلغ .

– هلا أصغيت الى يا هاستنجز ؟ .. ان مستر سيمبسون يعلم أن السرقة سينكشف أمرها بعد ظهر يوم الخميس ، ولهذا لا يذهب الى البنك فى ذلك اليوم ولكنه يترتب مستر دافيس الذى يخرج لتناول الغداء . ومن المحتمل أنه اعترف له بأنه اختلس المبلغ وأنه أبدى استعداده لكى يسلمه له . ومهما يكن من أمر فانه أفلح فى اقناع دافيس بأن يرافقه الى كلابهام ، وكانت الخادمة قد خرجت وذهبت مسز تود لابتياع حاجياتها من السوق . واذا ما اكتشفت السرقة واختفى دافيس فى نفس الوقت فان الأمر الواقع لابد أن يفرض نفسه ولابد أن يعتقد أولى الأمر أن دافيس هو المجرم . ولن يكون هناك ما يمكن أن يخشاه مستر سيمبسون ويمكنه أن يعود للعمل فى صباح اليوم التالى .. كأى موظف شريف أمام أعين الجميع .

– ودافيس ؟

أتى بوارو بحركة ذات مغزى ثم هز رأسه وقال : هذا أمر يبدو من العسير تصديقه ومع ذلك فلا يمكن أن يكون هناك حل آخر غيره يا صديقى . ان الصعوبة الكبرى التى يواجهها القاتل هى كيف يخفى جثة ضحيته . ولكن سيمبسون توقع كل شئ . وقد ذكرت اليزا شيئا أثار دهشتى فقد قالت أنه كان فى نيتها أن تعود الى مخدومتها فى تلك الليلة والدليل على ذلك اشارتها الى مربى الخوخ . ولكن حقيبتها كانت معدة عندما أقبل كارتر لكى يأخذها . وقد طلب سيمبسون من كارتر باترسون أن يذهب الى

البيت يوم الجمعة لكى يأتيه بها . وسيمبسون هو الذى حزم الحقيبة بالحبل بعد ظهر يوم الخميس . من كان يمكن أن يشك فى أي شئ ؟ خادمة تترك العمل وتبعث برسول لكى يأخذ حقيبتها .وقد وضع عليها بطاقة وأرسلها باسمها الى احدى المحطات القريبة من لندن . وبعد ظهر يوم السبت يذهب سيمبسون وهو متنكر فى هيئة استرالى الى المحطة ويأخذ الحقيبة ويضع عليها بطاقة أخرى ويرسلها الى مكان آخر حيث تنتظر أن تأتى صاحبتها لاستردادها . وعندما يشتبه المسئولون فى أمر الحقيبة أخيرا ويفتحونها يكون كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات هو أن رجلا له لحية قصيرة قد أرسلها من محطة قريبة من لندن . ولن يستطيع أحد أن يربط بين الجريمة وبين ساكن البيت رقم ٨٨ بشارع البيرت .. آه . ها نحن قد وصلنا .

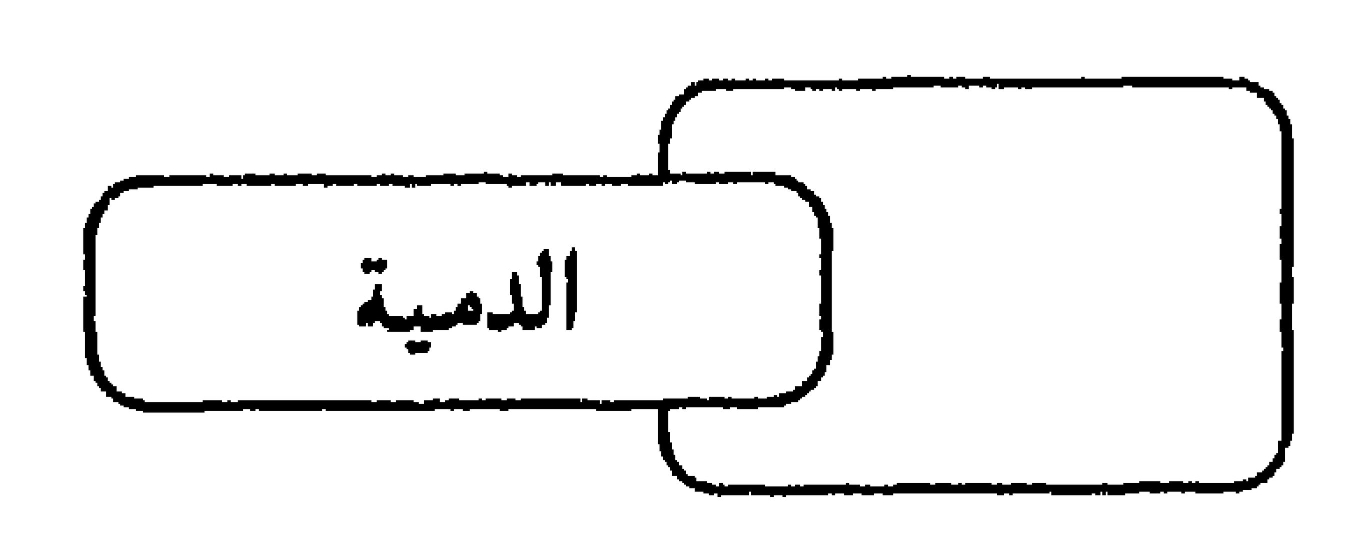
كانت استنتاجات بوارو صحيحة فقد غادر سيمبسون البيت قبل ذلك بيومين ولكنه لم يفلت من عواقب جريمة بفضل اللاسلكى تم العثور عليه على الباخرة أوليمبيا ، وكانت فى طريقها الى أمريكا .

وجذبت حقيبة معدنية مرسلة الى مستر هيزى ونترجرين اهتمام موظفى السكة الحديدية بمحطة جلاسجو . وعندما فتحوها وجدوا بها جثة دافيس المسكين .

ولم يقبض بوارو قيمة الشيك الذى أرسلته له مسز تود بمبلغ جنيه وانما وضعه فى اطار علقة لصق حائط غرفة الاستقبال وهو يقول :

- ان منظره سينعش ذاكرتى دائما يا هاستنجز . لا يجب أبدا أن نزدرى الأمور لمظهرها العادى التافه خادمة تختفى .. وكان السبب جريمة بشعة .. كانت هذه القضية من أهم القضايا التى اضطلعت بها .

***



الدمية

كانت ملقاة فوق فوتيل من المخمل فى غرفة الصالون حيث تضرب عتمة خفيفة بسبب ضوء سماء لندن الملبدة بالغيوم . وكانت أغطية الأثاثات الخضراء والستائر والسجاجيد متناسقة الألوان فى ذلك الضوء الخافت . وكانت الدمية هى الأخرى ، بثوبها المخملى الأخضر وقبعتها من ذات اللون ووجهها الذى تعلوه الأصباغ ، لا تبدو وكأنها تشبه لعبة من تلك اللعب التى يلهو بها الأطفال ولكنها كانت ترمز الى نزوات النساء الثريات ، الى زينة لا فائدة منها ، بجوار التليفون أو بين وسائد الأرائك . وكانت ملقاة فى وضع من وهنت قواه ، جامدة لاتتحرك . ومع ذلك فقد كانت تبدو كما لو كانت تتقد بالحياة وكان يمكن أن تكون مثلا مجسما لانحلال القرن العشرين .

ودخلت سيبل فوكس مسرعة وبيدها بعض البترونات والرسومات ورأت الدمية فأجفلت . وتساءلت .. ولكن توقف تساؤلها عند هذا الحد لأنها لم تلبث أن سألت نفسها " أين ذهبت عينة القطيفة الزرقاء ؟ .. وماذا تراني فعلت بها ؟ .. انى واثقة اننى تركتها هنا .. " وخرجت الى البسطة وصاحت وهى ترفع رأسها نحو الورشة :

– اليزابيث .. اليزابيث .. هل العينة الزرقاء معك ؟ .. ستأتى مسز فيلو براون ما بين دقيقة وأخرى .

وعادت الى الغرفة وأدارت مفتاح النور . ومن جديد لفتت الدمية نظرها فهمست تقول : " أين ذهبت بحق الشيطان ؟ .. آه ... ها هى ' . والتقطت العينة ، وكانت قد أفلتت من بين يديها عندما دخلت وسمعت صريرا مألوفا عند البسطة عرفت منه أن المصعد قد توقف وما هى الا لحظات حتى دخلت مسز فيلو براون ، ومعها كلبها

الصغير ، وهى تلهث بشدة وكأنها قاطرة على وشك التحرك من محطة صغيرة .

وقالت : - ستمطر السماء .. سينهمر المطر كالسيل وخلعت قفازها ومعطفها ، ثم أقبلت اليسيا كومب خلفها ، ولم تكن هذه الأخيرة لتزعج نفسها وتنتقل الا من أجل العميلات دوات الشأن . وكانت مسز فيلو براون من بين هؤلاء .

وهبطت اليزابيث ، كبيرة العاملات من الورشة . ومعها الثوب المطلوب فأخذته تجربه سيبل فوكس وساعدت مسز فيلو براون على تجربته وقالت :

- انه يناسبك تماما ولونه جميل جدا .

وجلست اليسيا كومب فى مقعدها وراحت تنظر الى الثوب فاحصة مدققة ثم قالت:

- نعم .. لا أظن أنه ينقصه شئ .

حولت مسز فيلو براون وجهها ونظرت الى صورتها الجانبية فى المرآة وقالت :

- يجب أن أعترف أن فساتينك تقلل من بروز أردافى .

- قالت سيبل : - ولكنك ازددت نحافة عما كنت منذ ثلاثة شهور .

- كلا للأسف ، ومع ذلك فيجب أن أعترف أن هذا الفستان يجعلنى أبدو كذلك ، ان تفصيلك رائع ويخفى عيوب الجنبين ... وهى العيوب التى يجب اخفاؤها بصفة خاصة .

وتنهدت ومرت بيدها بحركة رقيقة على جانبيها وأردفت :

- طالما أثارت هذه النقطة جزعى وارتياعى ، وطبعا أفلحت طوال الوقت فى اخفاء هذا العيب بأن أرفع صدرى ، ولكننى لم أعد أستطيع الغش منذ أن تمددت معدتى . ولا يمكننى اخفاء الاثنين فى وقت واحد .

قالت اليسيا كومب فى لباقة :

- آه لو ترين بعض عميلاتى !

واستمرت مسز فيلو براون تفحص نفسها وهى تقول :

– من رأيى أن الكرش الكبير أكثر ايلاما للمرأة من ردفين بارزين ، ولعل مرجع ذلك الى أن المرأة حين تتكلم مع شخص فانه لا يلحظ منها ظهرها ، وقد قررت الآن أن أضغط كرشى وأترك ردفى كما هما .

ومدت رقبتها جانبا وصاحت فجأة :

– اوه ... هذه الدمية ! .. لشد ما أفزعتنى . وبدت الحيرة على هذه الأخيرة وأجابت :

– لا أدرى بالتدقيق . ان ذاكرتى أصبحت تخوننى الآن ، وهذا أمر فظيع ... لم أعد أستطيع أن أتذكر ... منذ متى وهذه الدمية هنا يا سيبل ؟

– لا أعرف .

عادت مسز فيلو براون تقول :

– انها على كل حال تثير الرعب ويقشعر لها جسدى . اذ تبدو وكأنها تراقبنا ... بل انه ليخيل لى انها تضحك فى سرها ، وهذا امر مزعج . لو اننى مكانك لتخلصت منها .

وسرت فى بدنها رعشة خفيفة ولكنها لم تلبث أن عادت الى الاهتمام بفستانها ... الا يجب أن يقصر الكم سنتيمترا واحدا ؟ ... والبطانة ؟ ... وعندما سويت هذه النقاط الهامة ارتدت ثيابها وتأهبت للانصراف . وفيما هى تمر أمام المقعد الكبير حولت رأسها وقالت :

– يقينا اننى لا أحب هذه الدمية . انها تبدو وكأنها تنتمى الى الديكور ... وهذا أمر غير سليم .

وقالت سيبل فوكس بعد انصراف العميلة :

– ماذا تقصد بقولها هذا ؟

وقبل أن تتمكن أليسيا كومب من الرد ظهرت مسز فيلو براون من جديد وقالت :

- اننى نسيت فورلنج تماما ... أين أنت يا عزيزى ؟ ... اوه ، عجبا !

وتجمدت فى مكانها مشدوهة . كما ارتسمت الدهشة على المرأتين الاخريين ، فقد كان الكلب الصغير يجلس على قائمتيه الخلفيتين عند أسفل المقعد المخملى الأخضر وراح يتأمل الدمية . ولم يبد على رأسه الصغير المنفوش ما ينم عن أى شئ ... ان كان سرورا أو استياءً ... كان يكتفى بالنظر لا غير .

- تعال حالا يا عزيزى .

ولكن العزيز الصغير لم يعر تدليلها أى اهتمام فراحت تقول :

- انه يزداد تمردا من يوم لآخر . تعال حالا يافورلنج ... انظر ان مامى معها قطعة من السكر .

حول فورلنج رأسه الى سيدته فى ازدراء ثم عاد يركز اهتمامه فى الدمية . وقالت العميلة :

- يقينا انها أحدثت فيه تأثيرا كبيرا . ولكن يبدو لى انه لم يهتم بها فى زياراتى السابقة . وأنا كذلك ، لم أهتم بها قبل اليوم . أكانت هنا فى المرة الأخيرة التى أتيت فيها ؟

تبادلت المرأتان النظر وبدا الارتباك على سيبل فى حين قالت اليسيا كومب وهى مقطبة الجبين :

- ألم أقل لك ؟ ... اننى لا أتذكر شيئا هذه الأيام . منذ متى وهذه الدمية هنا يا سيبل ؟

وقالت مسز فيلو براون :

- من أين أتت ؟ ... هل اشتريتها ؟

- أوه ، كلا .

وبدا كأن هذه الفكرة قد صدمت شعور اليسيا كومب وأردفت تقول :

– كلا ... يخيل الى أن بعضهم أعطاها لى . هذا أمر يدعو للاسف ، فما أن يمر أى حدث حتى أنساه .

تحولت مسز فيلو براون الى كلبها وقالت :

– دعك من حماقتك هذه يا فورلينج ... سأضطر أن أحملك .

وحملته فعلا ، وأطلق الكلب صيحة احتجاج . وغادر الغرفة وعينا فورلينج الجاحظتين ما تزالان تحدقان ، من فوق كتفى صاحبته ، الى الدمية فى انبهار .

***

قالت مسز جرونز التى تقوم بالخدمة :

– هذه الدمية اللعينة لا تروق لى ابدا .

وكانت قد فرغت لتوها من كنس الفرزة وراحت تنفض الغبار عن المفروشات بالمنفضة . وأردفت تقول بعد لحظة :

– هذا غريب . ولكننى لم أفطن الى وجودها لأول مرة ألا أمس فقط ، وقد تملكنى انفعال شديد عندما رأيتها .

سألتها سيبل :

– ألا تحبينها ؟

– انها تخيفنى . اذا أردت رأيى فانها ليست طبيعية بساقيها الطويلتين وبوضعها الغريب على هذا الفوتيل وبهذا التعبير الخبيث فى عينيها ... ان الأمر غير سليم .

– ولكنك لم تذكرى عنها شيئا أبدا قبل اليوم .

– ذلك اننى لم أرها الا أمس اننى أعلم طبعا انها هنا منذ وقت لا بأس به ولكن .

وهزت رأسها فى قوة وأردفت :

- أنها تذكرنى بالكابوس .

حدقت سيبل فى الدمية ، وشيئا فشيئا ارتسم على وجهها تعبير يدل على الدهشة والذهول . ودخلت اليسيا كومب فى هذه اللحظة فأجفلت سيبل وقالت :

- مس كومب ... منذ متى وانت تملكين هذه المخلوقة ؟

- ماذا ؟ ... الدمية ؟ ... ولكنك تعرفين تماما يا عزيزتى أن من المستحيل أن أتذكر أى شئ . وأمس بالذات كان على أن اذهب لسماع محاضرة ولكننى لم أقطع فى الشارع أكثر من عشرين خطوة حتى كنت قد نسيت تماما الغرض من خروجى ، وقد فكرت كثيرا وأخيرا حسبت اننى يجب أن أذهب الى محل فورتنو أمس لشراء شئ ما .

ولك ألا تصدقينى اذا أردت ، ولكننى لم أتذكر أمر المحاضرة الا فى وقت متأخر من الليل . وأنا أعلم أن الانسان حين تتقدم به السن تضعف ذاكرته ومع ذلك فقد أصابتنى هذه الأعراض من قبل الأوان ... وهأنذا قد نسيت الآن أين وضعت حقيبتى... ونظاراتى ... ولكن أين النظارات ؟ ... اننى كنت أستخدمها منذ لحظات فى قراءة مقال فى التايمز .

- انها فوق الموقد . هل أنت واثقة انك لا تتذكرين كيف أتت هذه الدمية هنا ؟

هزت اليسيا رأسها وقالت :

- يخيل لى أن شخصا ما أعطانيها أو أرسلها لى . ومهما يكن من أمر فهى متناسقة مع الديكور . أليس كذلك ؟

- بل انها متناسقة معه أكثر من اللازم . ولكن من المؤكد حقا اننى ، من ناحيتى لا أستطيع أن أتذكر متى رأيتها لأول مرة .

- عجبا ! ... أراك تتكلمين مثلى . مع انك مازلت صغيرة جدا لكى تفقدى الذاكرة .

ومع ذلك فانني حين نظرت اليها أمس قلت لنفسي ان هناك شيئا ما ...
لعمري ان مسز جروفز على حق . فان لهذه الدمية جانبا مخيفا . وقد خطر لي انه سبق ان أحسست بهذا الاحساس ، ولكن من العسير على أن أتذكر متى . ان الأمر يبدو كما لو انني وعيت وجودها فجأة بعد أن احتلت هذا المقعد الكبير منذ شهور .

- لعلها دخلت من النافذة راكبة مكنسة ! يجب أن أقول انها أصبحت الآن قطعة من الأثاث ، فانه ليتعذر على الآن أن أتصور الغرفة بدونها ، أليس كذلك ؟

قالت سيبل وقد سرت في بدنها رعشة خفيفة :

- هذا صحيح . ومع ذلك فقد كنت أتمنى لو أن الأمر لم يكن بمثل هذا الوضوح .

- هل ستشغلنا هذه الدمية وتلح علينا جميعا ؟ .. ما الغرابة فيها ؟ انها بالنسبة لي أشبه بكرمبة جوفاء ، ولكن لعلها تبدو لي كذلك لأنني لم اخلع نظاراتي .

ولبست نظارتها وحدقت في الدمية مليا ثم قالت :

- نعم . انني أرى ما تعنين يا سيبل .. انها مخيفة بعض الشئ ... انها تبدو حزينة ومع ذلك ... تبدو خبيثة وماكرة .

- أدهشني ان مسز فيلو براون كرهتها .

- ان الناس يحسون أحيانا بالكراهية فجأة

- لعل الدمية لم توجد هنا الا منذ أمس ، ولعلها دخلت من النافذة كما تقولين .

- كلا . انني واثقة أنها هنا منذ وقت ما . ولكننا لم نحس بوجودها الا أمس .

- نعم . هذا هو احساسي أنا الأخرى .

- لنكف عن هذه الثرثرة قبل أن تأخذ دورا جديا . انه لمن المضحك أن ننسب قوة خارقة لهذه الدمية الجامدة .

وأخذت الدمية وهزتها وعدلت من وضع كميها قليلا ثم أجلستها في مقعد آخر . وسرعان ما أنزلقت وتراخت في وضعها . واستطردت سبل !

- انها جامدة فى الظاهر ومع ذلك فانها تبدو لى كما لو كانت حية ... ألا ترين ذلك يا سيدتى ؟

كانت مسز جروفز تلهث وهى تدخل غرفة مس كومب وبيدها منفضتها :

- أوه ... انها ادخلت الرعب فى قلبى . اننى لا أجرؤ الآن على دخول صالون البروفات .

رفعت مس كومب عينيها عن دفتر الحسابات وقالت :

- ما الذى أخافك كل هذا الخوف ؟

وأردفت تقول تخاطب نفسها أكثر مما تخاطب مس جروفس :

- ان تلك المرأة تتصور أنها تستطيع الحصول كل سنة على فستانين للسهرة وثلاثة للكوكتيل وتايير دون أن تدفع لى مليما واحدا . حقا ان عقلية بعض العميلات ...

وقالت مسز جروفس مترددة :

- انها هذه الدمية .

- ماذا ؟ ... الدمية مرة أخرى !

- انها جالسة أمام المكتب كما لو كانت من البشر . يا الهى ! انها أثرت فى تأثيرا غريبا .

- عم تتكلمين ؟

ونهضت اليسيا كومب واجتازت البسطة وفتحت باب صالون البروفات أمام المكتب الصغير الذى يقع فى ركن من الصالون رأت الدمية جالسة معتدلة باسطة ذراعيها الطويلين فوق سطح المكتب .

قالت مس كومب : - ان بعضهم يحاول أن يلهو بهذه الدمية . من الذى خطر له أن يجلسها هكذا ؟ ... انها تكاد تبدو طبيعية .

وأقبلت سيبل فوكس من الورشة ومعها فستان جديد يجب أن تجربه احدى العميلات هذا الصباح فبادرتها مس كومب قائلة :

- تعالى وانظرى يا سيبل . ان دميتنا جالسة أمام المكتب منهمكة فى كتابة رسائلها . هذا أمر سخيف حقا ... انى لأتساءل من الذى أجلسها هكذا ..أهى أنت ؟

- كلا . لاريب فى أن احدى العاملات هى التى فعلت ذلك .

- هذه دعابة سمجة .

وأخذت اليسيا الدمية ووضعتها على الأريكة .

وألقت سيبل الفستان فوق أحد المقاعد وعادت الى الورشة حيث قالت :

- انكم تعرفون جميعا الدمية ذات الثوب المخملى الموجودة فى صالون البروفات .

رفعت الرئيسة وعاملاتها رءوسهن وأجبن معا :

- نعم يا سيدتى ... بكل تأكيد .

- من منكن أجلستها أمام المكتب هذا الصباح ؟

صاحت اليزابيث :

- أمام المكتب ؟ ... لست أنا .

وصاحت عاملة أخرى :

- ولا أنا . أهى أنت يا مادلين ؟

هزت مادلين رأسها وقالت فى خبث :

- هذا ما تفعلينه فى الخفاء يا اليزابيث .

- كلا بالتأكيد . ان لدى أشياء أخرى غير اللهو بالدمية .

قالت سيبل فوكس فى انفعال :

- هذه دعابة ... لا بأس بها ... ولكننى أحب أن أعرف من الذى قام بها .

قالت العاملات الثلاث محتجات :

- اننا نؤكد لك اننا لم نفعل شيئا من ذلك يا مس فوكس .

وعادت اليزابيث تقول :

- ولا أنا . ولكن لماذا كل هذه الضجة بسبب دمية يا مس فوكس .

- ان الأمر غريب لا أكثر .

- لعلها مسز جروفس .

- هذا محال ، فانها تخاف كل الخوف من دخول صالون البروفات .

قالت الرئيسة فجأة :

- يجب أن أذهب واتحقق بنفسى .

- أنها ليست أمام المكتب الآن ، فأن مس كومب نقلتها فوق الأريكة . ولكن من الثابت أن شخصا ما لمس هذه الدمية ، وليس هناك من سبب لكى يرفض هذا الشخص أن يعترف بذلك .

- اننا أكدنا لك مرتين أننا لم نلمسها يا مس فوكس ، ولا داعى لأن تتهمينا بالكذب . ان أيا منا لا تفكر فى القيام بمثل هذه الدعابة .

- معذرة ، لم أشأ أهانتكن . ومع ذلك فلا أرى من غيركن استطاع أن يفعل هذا..

قالت مادلين وهى تغالب الضحك :

- لعلها انتقلت وحدها الى المكتب .

جزت سيبل على شفتها السفلى فى استياء وقالت :

- يكفى ما أضعناه من وقت فى هذه القصة السخيفة .

وأستدارت على عقبيها وعادت الى صالون البروفات حيث وجدت اليسيا كومب تدندن بلحن مرح وهى تفحص أوراقها فقالت لها :

- آه ... اننى أضعت نظاراتى مرة أخرى ياسيبل ان عيب من كان قصير النظر

مثلى هو انه حين يفقد نظاراته الثمينة لا يستطيع أن يجدها الا اذا لبس نظارات أخرى لكى يستطيع أن يبحث عنها ... فاننى لا أرى شيئا على بعد خطوتين .

– سأبحث لك عنها ... انها كانت معك منذ لحظات .

– عندما صعدت أنت الى الورشة ذهبت الى حجرتى وأظن اننى تركتها هناك .

ومضت الى الغرفة الأخرى وهى تقول :

– يجب أن أفرغ من حساباتى ، وبدون نظاراتى لن أستطيع شيئا .

– هل تريدين أن أذهب الى غرفتك وآتيك بالنظارات الاخرى التى تحتفظين بها هناك على سبيل الاحتياط ؟

– لم تعد هناك نظارات أخرى .

– ماذا تقولين ؟

– الواقع اننى فقدتها أمس فى ساعة تناول الغداء ، وقد اتصلت بالمطعم ، وكذلك بالمحلين اللذين قصدتهما أمس ولكن عبثا .

– ستكونين اذن بحاجة الى زوج ثالث من النظارات .

– أوه ، كلا ، والا فسأقضى بقية حياتى فى البحث عن الواحدة أو الاخرى . من الأفضل الا يكون لدى الا زوج واحد وان ابحث عنه حتى أجده .

– اذا كنت لم تنتقلى الا الى هاتين الغرفتين فسيكون من السهل العثور عليها .

وتفحصت الغرفة الخاصة لمس كومب ثم صالون البروفات . واذ أعياها البحث رفعت الدمية من مكانها فوق الأريكة وصاحت تقول :

– ها هى !

- أين كانت يا سيبل ؟

– تحت دميتنا العزيزة . لاريب انك وضعتها فوق الأريكة قبل أن تعيدى الدمية اليها .

– اننى واثقة اننى لم أفعل ذلك .

صاحت سيبل فى استياء :

– اذا صح هذا فان هذه الدمية هى التى أخفتها تحتها .

– اذا أمعنت التفكير فان هذا لا يدهشنى . انها تبدو ذكية جدا ، أليس كذلك ؟

– ان رأيها لا يروق لى ... انها تبدو كما لو أنها تعرف شيئا لا نعرفه نحن .

قالت مس كومب بغير اقتناع كبير :

– ان لها نظرة حلوة وحزينة .

– لا أظن أنها حلوة اطلاقا .

– لعلك على حق . هلمى بنا نعود لمزاولة عملنا . ان الليدى لى ستأتى بعد دقائق وأريد أن أحرر بعض الفواتير قبل ذلك .

* * *

– مسز فوكس ! مسز فوكس ! ..

– نعم يا مرجريت ... ما الخبر ؟ ...

كانت سيبل منهمكة فى قص قطعة من القماش الساتان فوق منضدتها ، فقالت :

– أوه يا مسز فوكس ... انها هذه الدمية مرة أخرى . لقد نزلت بفستان الليدى لى فوجدت دميتك جالسة أمام المكتب . ولست أنا التى وضعتها هناك ولا أى واحدة منا . صدقينى يا مسز فوكس اننا لم نفعل شيئا من ذلك .

اختلجت يد مسز فوكس بالمقص الذى كانت تمسك به وقالت :

– أوه ... انظرى ماذا فعلت بى ... ولكن لم تعد هناك حيلة ... قولى لى ما الذى حدث .

– وجدت الدمية جالسة أمام المكتب فى صالون البروفات .

هبطت سيبل ووجدت أن الدمية عادت مرة أخرى لتجلس فى المكان الذى ذكرته

الخادمة ، فأخذتها وهزتها فى عنف قائلة :

- أنت عنيدة جدا .

ثم أعادتها فوق الأريكة وهى تقول :

- ان مكانك هنا فلا تتحركى منه .

ثم ذهبت الى مخدومتها وخاطبتها قائلة :

- مس كومب !

- نعم يا سيبل .

- أعتقد ان بعضهم يلهو على حسابنا ، ان الدمية كانت جالسة مرة اخرى أمام المكتب .

- ومن الذى يفعل ذلك فى رأيك ؟

- احدى العاملات الثلاث من غير شك . لاريب انها تجد فى ذلك غرابة . ولكنهن يقسمن جميعا انهن بريئات .

- ألا يمكن أن تكون مرجريت ؟

- لا أظن ذلك ، فقد كانت شاحبة جدا عندما عادت من صالون البروفات ... يحتمل أن تكون تلك الرعناء مادلين .

- لقد أصبحت هذه اللعبة مملة على كل حال .

- اننى أشاركك هذا الرأى .

وأردفت تقول فى لهجة قاسية : يجب أن أضع حدا لهذه الدعابة

- وكيف دلك .

- سترين .

وفى تلك الليلة أغلقت سيبل باب صالون البروفات بالمفتاح قبل أن تنصرف وقالت :

- وسأحتفظ بالمفتاح معى زيادة فى الحرص . بدا الطرب على مس كومب وقالت :

- اذن فأنت تعتقدين اننى قد أكون الفاعلة ؟

هل تحسبين اننى من الرعونة بحيث اذهب الى مكتبى وفى نيتى ان أكتب ولكنى بدلا من ذلك اخذ الدمية وأجلسها أمام المكتب على أمل أن تقوم بعملى نيابة عنى ثم أنسى الأمر بعد ذلك تماما ؟

- الحق ان هذا محتمل . مهما يكن من أمر فاننى أريد أن أتأكد الليلة من أن أحدا لن يتمكن من أن يلهو بنا خفية .

وما أن جاءت سيبل فى صباح اليوم التالى حتى فتحت باب صالون البروفات تحت بصر مسز جروفس الغاضبة ، وكانت تنتظرها على البسطة ومكنستها ومنفضتها بين يديها .

ومدت سيبل عنقها وما كادت تفعل حتى ارتدت الى الخلف على الفور ... لقد عادت الدمية واتخذت مكانها أمام المكتب .

وصاحت الخادمة خلفها وهى تلهث :

- عجبا ! .. هذا غير ممكن ... ماذا بك يا مسز فوكس . انك شاحبة جدا . أنت فى حاجة لمنشط هل تحتفظ مس كومب ببعض الخمر لديها ؟

- ليس لى شئ .

وتقدمت سيبل فأخذت الدمية ونقلتها فى عناية الى آخر الغرفة فى حين قالت الخادمة :

- هل أراد أحد أن يمزح معك مرة أخرى يا مسز فوكس ؟

- لا أفهم كيف يمكنه أن يفعل ذلك ، فقد أغلقت الباب بالمفتاح بنفسى أمس . وقد تحققت أنت نفسك من أن أحدا لا يستطيع الدخول .

- لعل هناك مفتاحا آخر .

لا أظن ذلك . لم يسبق أن أغلقنا هذه الغرفة أبدا . والمفتاح من نوع قديم لا يوجد مثيل له .

- لعل مفتاح صالون مس كومب يفتح هذا الباب .

وجربت المرأتان كل مفاتيح الغرف الأخرى ولكن أيا منها لم يفلح فى قفل الباب .

وفيما بعد ، وبينما كانت سيبل ومس كومب تتناولان الغداء معا ، تناقشتا فى الموضوع وقالت سيبل :

- اننى أجد هذه الظاهرة غريبة جدا .

- انه لأمر غير عادى يا عزيزتى ، وأرى أنه يجب أن نخطر قسم الأبحاث النفسية ربما أرسلوا لنا وسيطا لكى يكشف عما اذا كانت هذه الغرفة تسكنها روح شريرة .

- ولكن لا يبدو عليك أى انزعاج أو اضطراب .

- أعترف أن المغامرة ، من ناحية ، تروق لى ، ففى مثل سنى هذه أجد أن كل حادث غريب يطربنى . ومع ذلك ... فاننى فى قرارة نفسى أعترف اننى لا أحب التطور الذى اتخذته أحداث هذه القصة . ان دميتنا تتجاوز الحدود قليلا .

وفى تلك الليلة أوصدت سيبل وأليسيا كومب الباب معا وقالت سيبل :

- اننى مازلت أعتقد ان احدى العاملات تلهو بأعصابنا وان كنت لا أدرى لماذا .

- هل تظنين اننا سنجد الدمية صباح الغد جالسة أمام المكتب من جديد ؟

- اذا أردت الصراحة فنعم .

ولكن سيبل أخطأت ، ففى صباح اليوم التالى لم تكن الدمية جالسة فى مكانها الجديد وانما كانت منحنية فوق حافة النافذة تتطلع الى الشارع والى ما يجرى فيه . ومرة اخرى كان فى وضعها على هذا النحو شئ طبيعى غريب .

وبعد الغداء ، بينما كانت المرأتان تستريحان لحظة وتستمتعان بفنجانين من الشاى قالت مس كومب فى لهفة :

- ان هذه المسألة أصبحت سخيفة حقا .

وكانتا قد اتفقتا فيما بينهما على أن يستريحا فى مكتب المديرةبدلا من صالون البروفات كما هى عادتهما .

- سخيفة ؟ .. وكيف ذلك ؟

- حسنا ... ألا ترين انها لا تستند الا على دمية تغير مكانها باستمرار ؟

وفى الأيام التالية أصبحت المسألة أكثر وضوحا . لم تكن الدمية تغير مكانها أثناء الليل فحسب وانما فى كل لحظة ... فعندما كانت الحائكات يمضين الى صالون البروفات حتى بعد غياب قصير كن يجدنها فى وضع جديد . كانت تنتقل من الأريكة الى المقعد ثم الى النافذة ، وأحيانا كانت تحتل المقعد الكبير وأحيانا أخرى كانت تجلس أمام المكتب .

وبعد ظهر أحد الأيام تأملت سيبل فوكس والمديرة الدمية الملقاة فوق الأريكة . وقالت مس كومب :

- انها تغير مكانها كما يحلو لها الآن ، ويخامرنى احساس يا سيبل بأن هذا الأمر يطربها كثيرا . ومع ذلك فهى لا تعدو أن تكون بضع خرق من المخمل الباهت وبضع لمسات بالفرشاة لتحديد معالم الوجه .

ولكن كان فى صوتها رنة من القلق وهى تنطق بهذا القول ، وأردفت تقول :

- أظن اننا نستطيع أن نتخلص منها ؟

واستطردت تقول على الفور عندما رأت ما ارتسم فى عينى سيبل من دهشة :

- لو أن لدينا نارا لاستطعنا أن نحرقها ... كما يحرقون الساحرات ... وهناك صندوق القمامة طبعا ...

- كلا ، فقد يلتقطها بعضهم ويعيدها الينا .

- وماذا لو أرسلناها الى احدى تلك الجمعيات التى تطلب الملابس والأشياء القديمة

لبيعها واستثمار ثمنها فى عمل الخير ؟ أظن أن هذا يكون أفضل حل .

- لا أدرى ... انه يكاد يخيفنى .

- يخيفك ؟

- أظن انها ستعود الى هنا .

- هنا ؟

- نعم ؟

- كما يفعل الحمام الزاجل ؟

- تقريبا .

- أترينا مسنا خبل ؟ ...لعلنى أصبحت ضعيفة العقل تماما وتحاولين مداعبتى ؟

- كلا . ولكننى أشعر بخوف شديد ويخيل لى أن هذه الدمية أقوى منا .

- ماذا ؟ هذه الكتلة من الخرق ؟

- انها عنيدة جدا وتتصرف كما يحلو لها ... ان هذه الغرفة أصبحت ملكا لها الآن .

- هذا صحيح ، ويجب أن أعترف بانها تنسجم مع المفروشات الموجودة بها . أو لعل من الأحرى أن أقول أن الديكور هو الذى ينسجم معها . انه لمن المضحك جدا أن تحتل دمية المكان بهذه الصورة . هل تعرفين ان مسز جروفس أصبحت ترفض دخول هذه الغرفة لتنظيفها ؟

- هل قالت لك انها تخشى وجود الدمية ؟

- كلا . انها تختلق اية حجة دائما .

ثم أردفت تقول بلهجة يشوبها القلق :

- ماذا نفعل يا سيبل ؟ ... ان هذه المسألة أربكتنى الى حد اننى لم أرسم ولا موديل منذ أسابيع .

واعترفت سيبل قائلة :

- وانا الأخرى لا أستطيع التركيز على باتروناتى اننى لا انفك ارتكب الغلطات الشنيعة . لعل فكرتك فى الكتابة الى معهد نفسانى ليست بالأمر السيئ على كل حال .

- لن يكون لهذا أية نتيجة الا تعريضنا للسخرية . لم أكن جادة عندما قلت ذلك كلا . أظن انه لابد لنا من احتمال الموقف حتى ...

- حتى ...

- أوه ... لا أدرى .

وأطلقت ضحكة مليئة بالانفعال .

وفى اليوم التالى وجدت سيبل باب صالون البروفات مقفلا بالمفتاح فقالت :

- مس كومب ... هل أوصدت هذا الباب مساء أمس .

- نعم ، وسيظل موصدا .

- وكيف هذا ؟

- سنهجر هذه الغرفة وتستطيع الدمية الاحتفاظ بها . لقد رأيت ان هذا الركن يكفى لكى نجعل منه مكانا للبروفات .

- ولكنها غرفتك الخاصة ؟

- حسنا . اننى لا أريدها . ان لدى غرفة كبيرة أستطيع أن أستغلها للمعيشة .

- هل تعنين انك لن تعودى الى صالون البروفات أبدا ؟

- هو ذلك .

- ولكن ... والتنظيف ؟ ... انها ستكون قذرة جدا .

- دعيها ... اذا كان ولابد أن تحتلها الدمية فليكن ... اننى أتركها لها وعليها هى أن تهتم بتنظيفها .

وأردفت تقول فى تفكير :

- هل تعرفين انها تكرهنا ؟

- الدمية تكرهنا ؟

- ألا تعرفين ذلك ؟ .... لاريب انك لاحظت ذلك وانت تنظرين اليها .

- نعم . أظن اننى أدركت ذلك . بل لعلنى أحسست به بالغريزة . انها أفلحت أخيرا فى طردنا من الغرفة .

- انها مخلوق صغير شرير .

- مهما يكن من أمر فلا ريب أنها مسرورة الآن .

ومنذ ذلك اليوم بدا أن الهدوء قد عاد واستتب كما كان من قبل . وأعلنت أليسيا كومب لعاملاتها انها قررت غلق صالون البروفات وعدم استخدامه بحجة أن البيت واسع جدا وانه يتطلب خدمة وعناية كبيرتين .

ولكن عندما فرغوا من العمل فى ذلك اليوم وهموا باغلاق الأبواب هبطت احدى العاملات وقالت لزميلاتها :

- ان مس كومب أصبحت مخبولة تماما . وطالما كنت دائما أظنها غريبة الأطوار بسبب نسيانها وفقدانها للذاكرة . وقد أصبح الأمر أسوأ الآن فلم يعد يشغل ذهنها شئ غير هذه الدمية .

- أتظنين ان الأمر قد يبلغ بها أن تطعننا بخنجر فى يوم من الأيام ؟

انتصبت مس كومب ساخطة وهى تستعيد ما سمعت : مخبولة ؟ ... أنا ؟ يا للوقاحة ! ... الواقع أنه لولا أن سيبل تفكر مثلى لتساءلت اذا لم أكن قد أصبحت مجنونة حقا ... ثم أن مسز جروفس تفكر مثلنا هى الاخرى ... وددت لو أعرف كيف ستنتهى هذه المسألة .

* * *

بعد ذلك بثلاثة أسابيع قالت سيبل لمخدومتها :

- يجب أن نفتح هذه الغرفة .

- لماذا ؟

- لا ريب انها امتلأت بالغبار ، ولن تلبث العتة أن تغزو أرجاءها . ويمكننا أن ننظفها وان نغير هواءها ثم نغلقها بعد ذلك .

- انني لأوثر ألا أعود اليها أبدا .

- أظن انك أكثر مني خوفا وتطيرا .

- هذا جائز . وعلى الرغم من أن المسألة بدت لى فى البداية ذات طابع طريف فأنني أشعر الآن بالخوف وأتمنى ألا أضع قدمى أبدا فى هذه الغرفة بعد ذلك .

- أما انا فانني أريد أن أمضى اليها .. والآن حالا .

- ذلك لأنك فضولية .

- انني معك فى هذا . فانني أريد أن أرى ماذا فعلت الدمية منذ أن حبسناها .

- مازلت أرى أنه من الأوفق ان نتركها فى سلام . الآن وقد تركنا لها الغرفة فانني أظن انها راضية ، ومن الأفضل أن نحترم ارادتها .

وتنهدت واردفت تقول فى استياء :

- هأنذا أنطق بالحماقات .

- اذا كنت تعرفين طريقة أكثر ذكاء تستطيع أن نناقش بها الأمر ... هيا ، اعطنى المفتاح .

- حسنا ... حسنا .

- لعلك تخافين أن أدعها تهرب . ومع ذلك فلابد أن لديها القدرة على المرور من خلال الجدران والنوافذ .

وأدارت سيبل المفتاح فى القفل ودفعت الباب وصاحت :

- عجبا !

سألتها أليسيا وهى تهرع اليها :

- ماذا ؟

- انظرى . لا يوجد غبار تقريبا ، ومع ذلك فقد كان من المتوقع بعد أن أغلقنا الغرفة بعد كل هذه المدة ..

- هذا صحيح وانه لأمر غريب جقا .

- انظرى اليها .

كانت الدمية فوق الأريكة ، ولكنها لم تكن مستغرقة فى جلستها وإنما كانت تجلس معتدلة تسند ظهرها على وسادة كالسيدة التى تتأهب لاستقبال ضيوفها .

وقالت مس كومب :

- يبدو أنها على راحتها تماما .. ولدى احساس بأنه يجب على أن أعتذر لها لهذا الانزعاج .

- هلمى بنا نخرج من هنا .

واغلقت سيبل الباب بالمفتاح ثم وقفت المرأتان تتبادلان النظر فى حيرة واضطراب .

وقالت المديرة :

- أود لو أن أعرف لماذا تخيفنا الى هذا الحد ؟

- ومن الذى لا يشعر بنفس الخوف ؟

- وعلى الرغم من ذلك فهي ليست أكثر من دمية ... ليست هى التى تنتقل من مكانها وانما روح شريرة هى التى تحركها .

- يا لها من فكرة غريبة .

- اننى لا أومن بها . اننى أعتقد فى قرارة نفسى بأن الدمية هى التى تتحرك من تلقاء نفسها .

– هل أنت واثقة انك لا تعرفين من أين أتت .

– كل الثقة . وكلما أفكر فى الأمر كلما تأكدت اننى لم أشترها ، وان ما من أحد أعطانى اياها . أعتقد ... نعم ، أعتقد اننى وجدتها هنا ذات يوم .

– هل تعتقدين انها لن تفارقنا أبدا ؟

– لا أدرى لماذا تفعل فانه ليخيل الى أن لديها كل ما تريد .

ولكن اتضح أن الدمية لم تكن راضية تماما بالضيعة التى تركوها لها ، ففى صباح اليوم التالى ، عندما دخلت سيبل صالون البروفات الجديد رأت شيئا جعلها تطلق صيحة تعجب واندفعت الى الدرج وهى تصيح قائلة :

– مس كومب ... مس كومب ... تعالى انظرى .

وكانت أليسيا كومب قد غادرت فراشها متأخرة فى ذلك اليوم فهبطت الدرج فى حذر بسبب ما كانت تشكو من الروماتيزم ، وأقتربت من المرأة الشابة وقالت :

– انك شاحبة جدا ياسيبل فما الخبر ؟

– انظرى .

وتقدمتها الى عتبة صالون البروفات الجديد حيث وقفتا جامدتين . كانت الدمية مستلقاة فى استرخاء فوق الأريكة . وتمتمت المديرة :

– انها خرجت ! ... خرجت من الصالون ... وهى الآن تريد احتلال هذه الحجرة أيضا .

وجلست بجوار الباب وقالت :

– أظن انه يجب أن نترك لها البيت كله فى النهاية .

– هذا جائز .

وصاحت : – أيتها المخلوقة الشريرة ... لماذا تعذبيننا هكذا ؟ اننا لا نريدك .

وبدا لها كما بدا لسيبل ان الدمية تحركت وان أطرافها استرخت أكثر من ذى قبل .

كان أحد ذراعيها الطويلين ممددا فى تراخ فوق إحدى الوسائد ، ووجهها المخضب مائل قليلا الى أسفل ويبدو كما لو كان ينظر الى المرأتين ساخرا .

وقالت اليسيا : يا لها من مخلوقة بشعة ... لن أستطيع احتمالها أكثر من ذلك... كلا ، كلا .

هبت واقفة وأمسكت بالدمية وأسرعت الى النافذة وألقت بها فى الشارع . وأطلقت سيبل صيحة فزع وقالت :

- أوه يا اليسيا ... ما كان يجب أن تفعلى ذلك اننى واثقة انك أسأت التصرف .

- كان لابد من أن أفعل شيئا ... لم أعد أستطيع رؤيتها .

اقتربت سيبل من النافذة بدورها وأطلت منها الى الشارع . كانت الدمية قد وقفت فوق الافريز ووجهها الى الأرض .

- انك قتلتها .

- دعك من هذه الحماقات ... كيف يمكن أن أقتل دمية لا روح لها . انها ليست من البشر .

- ومع ذلك فهى تبدو كما لو كانت كذلك .

- يا الهى ! ... هذه الطفلة !

ذلك ان طفلة صغيرة ترتدى ثيابا رثة اقتربت من الدمية ورددت البصر حولها متلصصة . كان الوقت مبكرا والشارع لا يزال مقفرا الا من بضع سيارات كانت تنطلق مسرعة . وازدادت الطفلة اقترابا ثم انحنت والتقطت الدمية وعبرت الشارع ركضاً ، وصاحت اليسيا تناديها :

- قفى .. قفى .. لا يجب أن تأخذ هذه الطفلة الدمية ... لا يجب أن تأخذها ... ان الدمية شديدة الخطر ... تسكنها روح شريرة ... يجب أن نمنعها بكل الطرق .

ولكن لم تكن هى التى أوقفت الطفلة عن عدوها وانما أوقفتها حركة المرور التى

تغيرت فجأة فازدحم الشارع بالسيارات التى أرغمت الطفلة على الوقوف فى منتصف الطريق . وأسرعت سيبل فهبطت الدرج راكضة تتبعها اليسيا كومب فى مشقة كبيرة . وشقت المرأتان طريقهما بين السيارات وبلغتا المكان الذى تقف فيه الطفلة قبل أن تتمكن هذه الأخيرة من بلوغ الرصيف المقابل ، وقالت اليسيا كومب وهى تلهث :

- لا يمكن أن تأخذى هذه الدمية ... أعيديها الى .

رمتها الطفلة بنظرة حذرة . كانت فى نحو الثامنة من عمرها . نحيفة وبعينيها حول خفيف .

- ولماذا أعيدها اليك ؟ انك القيت بها من النافذة ، وقد رأيتك بنفسى . وانها الآن لى .

- سأشترى لك دمية أخرى غيرها . تعالى معى الى أحد المحال التى تبيع هدايا الأطفال . سأشترى لك أجمل دمية به ، ولكن أعيدى الى هذه .

ضمت الطفلة الدمية الى صدرها فى قوة وقالت :

- كلا .

وحاولت سيبل أن تتدخل قائلة :

- يجب أن تعيديها ، فهى ليست لك .

ومدت يدها لكى تأخذ الدمية ولكن الطفلة ضربت الأرض بقدمها وواجهت المرأتين صارخة :

- كلا ، كلا ، كلا انها لى . اننى أحبها . أما انتما فلا ، انكما تمقتانها والا لما ألقيتما بها من النافذة . أقول لكما اننى أحبها ، وهذا ما تريده هى ... أنها تريد الحب .

وفى خفة ورشاقة مرقت بين السيارات الى الرصيف المقابل وجرت نحو زقاق حيث اختفت قبل أن تتمكن المرأتان من عمل أى شئ .

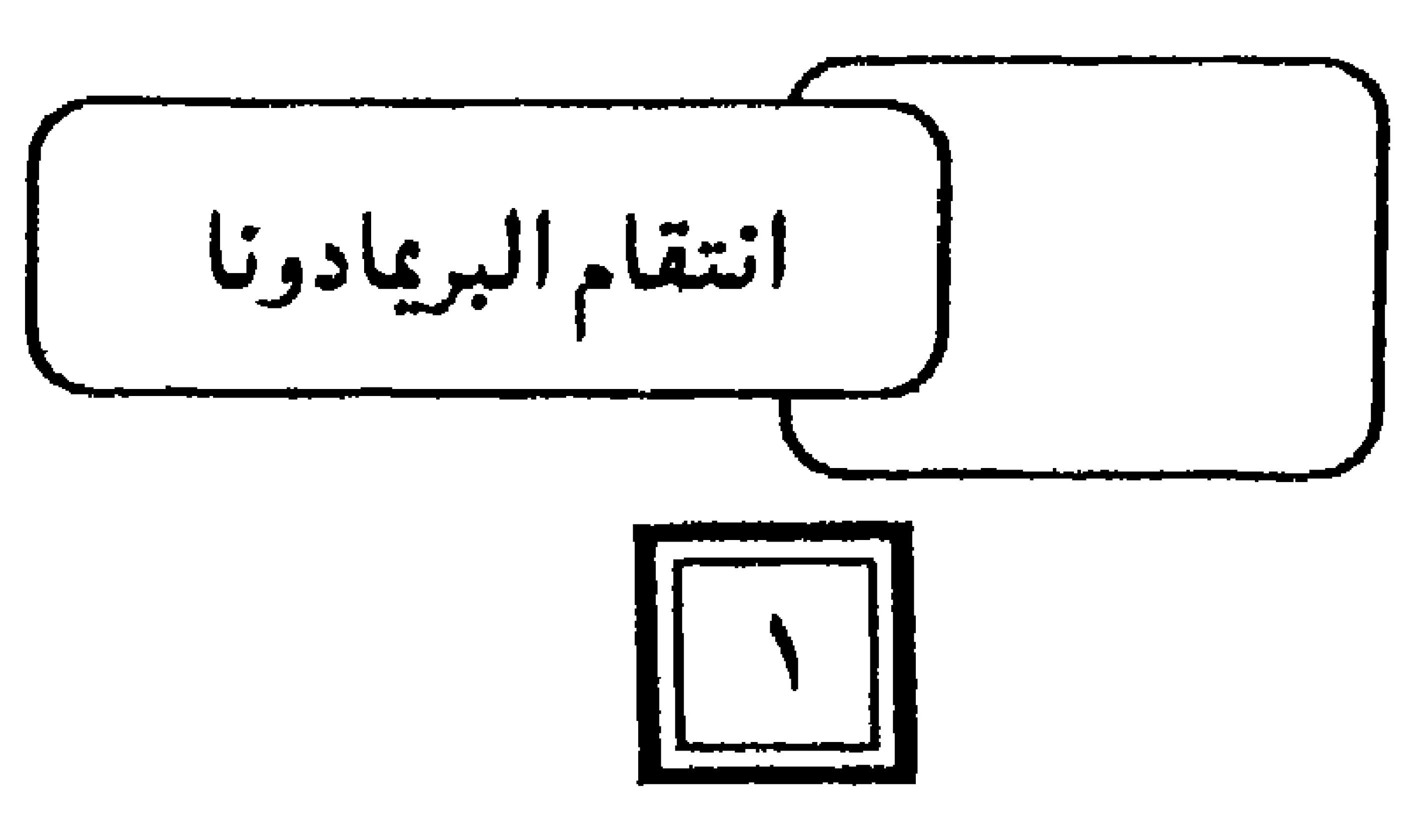
وقالت اليسيا :

- انها ذهبت .

- انها قالت ان الدمية تريد الحب ... لعل هذا ما كانت تنشده منذ وقت طويل .. كانت تريد أن نحبها .

وفى وسط حركة المرور تبادلت المرأتان النظر فى حيرة .

***



انتقام البريمادونا

١

كان ذلك فى لندن ، فى صبيحة أحد أيام مايو ، فى الساعة الحادية عشرة ، وكان مستر كوان يطل من نافذة الصالون الفخم بمسكنه بفندق الريتز ، وهو المسكن الذى خصص لمدام بولا نازاركوف ، مطربة الاوبرا المشهورة التى أقبلت الى المدينة وكان مستر كوان ، وكيل أعمالها حاضرا للتشاور معها ، وحول رأسه عندما سمع صوت الباب يفتح ولكن التى دخلت لم تكن غير مس ريد ، سكرتيرة مدام نازاركوف ، وهى فتاة شاحبة حميدة الخصال .

– اوه ، أهى أنت يا عزيزتى ؟ ... ألم تستيقظ المدام بعد .

واذ هزت مس ريد رأسها عاد يقول :

– قالت لى أن آتى فى تمام الساعة العاشرة وانا انتظر منذ ساعة .

ولم ينم صوته عن أى استياء أو دهشة فقد تعود منذ وقت طويل على نزوات الفنانة وهوسها . كان طويل القامة حليق الوجه ، سمينا بعض الشئ ، أنيق الهندام . شعره أسود فاحم وأسنانه بيضاء ناصعة وكان فى نطقه حرف السين أقرب الى الزأزأة ، ولم يكن المرء بحاجة الى خيال كبير لكى يفهم أن اسم أبيه كان كوهين .

فتح الباب الموجود فى الناحية الأخرى من الغرفة ودخلت فتاة فرنسية ظريفة سألها كوان فى شئ كبير من الأمل :

– هل استيقظت المدام ؟ ... ما هى الأخبار اليوم يا اليز ؟

رفعت الفتاة يديها نحو السماء وقالت :

- انها حادة المزاج هذا الصباح لا شئ يروق لها حتى الزهور الصفراء الجميلة التى أرسلتها أنت اليها مساء أمس لم تعجبها وقالت انها انما تليق بنيويورك وانها بشعة المنظر فى لندن . وان الزهور الحمراء هى التى تليق بلندن ، وقد القت بها من النافذة فوقعت على رأس رجل جنتلمان احتد غضبا ، وله الحق فى ذلك .

رفع كوان حاجبيه ولكن لم تنم ملامحه فى أية دهشة ثم أخرج من جيبه دفترا صغيرا كتب فيه " زهور حمراء " .

وعادت اليز بأسرع مما جاءت ، وعاد كوان الى النافذة . وجلست فيرا ريد أمام المكتب وبدأت تفض الرسائل الواردة . ومضت عشر دقائق فى صمت ثم فتح باب الغرفة فى عنف ودخلت بولا نازاركوف وفجأة بدت الغرفة صغيرة وبدت فيرا ريد امرأة تافهة لا قيمة لها . أما كوان فقد انتظر .

قالت البريمادونا :

- آه يا أولادى .. ألست مواظبة فى مواعيدى ؟

كانت طويلة القامة ، بعيدة عن البدانة التى تتسم بها المطربات . ذراعاها وساقاها جميلتان ملفوفتان وعنقها رقيق يدل على اناقة واصالة صاحبته ، شعرها يلمع ولم يكن هناك أى شك فى أن لمعانه يرجع الى الحناء ولكن تأثيره كان كبيرا على الرغم من ذلك . ومع انها كانت قد بلغت الأربعين فان تقاطيع وجهها كانت لا تزال جميلة ، ولكن كانت تحيط بعينيها السمراوين المعبرتين تجاعيد رقيقة ، لها ضحكة أشبه بضحكة الأطفال وبطن أشبه ببطن النعامة وطباع شيطان مريد .

تحولت الى كوان وسألته :

- هل فعلت كما قلت لك ؟ ... هل ألقيت بذلك البيان الانجليزى البشع فى التاميز ؟

أجاب كوان وهو يشير الى بيان فى ركن الغرفة :

- نعم . انني استبدلته بهذا .

أسرعت البريمادونا الى البيان ورفعت غطاءه وصاحت :

- اوه ... ماركة ايرارد ! .. نعم ، هذا أفضل سأجربه .

وارتفع صوتها الساحر الجميل فى نغمات مختلفة عالية ازدادت علوا لم تلبث أن خفتت وضاعت مع العدم وقالت فى حماس ساذج :

- آه . ما أجمل صوتى ! ... حتى فى لندن !

أسرع كوان يقول :

- هذه هى الحقيقة فى الواقع ، وسوف تركع لندن عند قدميك كنيويورك .

- هل تظن ذلك ؟

واذا نظرنا الى الابتسامة الخفيفه التى ارتسمت على شفتيها فقد كان هذا السؤال شكليا لا غير .

- انها الحقيقة !

ابتعدت بولا نازاركوف عن البيان ودنت من المكتب وهى تقول :

- والآن الى العمل ... ما هى الالتزامات التى ارتبطت بها ؟

أخرج كوان بعض الأوراق من حافظة ، وكان قد وضعها فوق أحد المقاعد وقال :

- ليس هناك جديد . ستحيين خمس حفلات فى كوفنت جاردن ... ثلاث منها فى دور توسكا واثنتين فى دور عايدة .

- تبا لعايدة هذه ! .. انها لا تروق لى ، أما توسكا فشئ آخر .

- نعم . انك رائعة فى دور توسكا .

- بل أنا أعظم توسكا فى العالم .

- ليس هناك من يضارعك أبدا .

- هل يقوم روسكارى بدور سكاربيا ؟

– نعم . ويقوم ليبى بدور اميل .

صاحت البريمادونا :

– ماذا ؟ ... ليبى ! ... هذا الضفدع البشع ؟ لن أغنى معه والا فسوف أعضه وأخدشه .

قال كوان فى تسامح :

– رويدك ... رويدك .

– أقول لك ان هذا المأفون لا يغنى ... انه يعوى .

– سوف نرى .

كان معتادا على ذلك . وسألته المطربة :

– ومن يقوم بدور كافاردوس ؟

– التينور الأمريكى هنسديل .

– انه فتى لا بأس به ، ثم أنه يجيد الغناء .

– وسيحل بأرير محله ذات مساء .

قالت فى كرم كبير :

– أن بارير فنان كبير ... ولكن ليبى ... اننى لا أريده . لن أغنى معه .

– دعى الأمر لى .

وسعل ، وتناول ورقة أخرى وقال :

– وأنا الآن بصدد تدبير حفلة خاصة بقاعة البيرت .

واذ قطبت بولا نازاركوف حاجبيها أسرع يقول :

– اننى أعلم ... اننى أعلم ، ولكن هذه هى العادة .

قالت المطربة :

– ستكون الحفلات كاملة العدد على كل حال . وسيكون نصيبى من الايراد كبيرا

حسنا .

واستطرد كوان :

– واليك الآن شيئا جديدا خاصا ... عرض من الليدى راستنبورى ... تريدك أن تحيى حفلة فى قصرها .

– راستنبورى .

وقطبت حاجبيها وبدا أنها تحاول أن تتذكر :

– اننى قرأت هذا الاسم فى مكان ما منذ وقت طويل . أعتقد انه اسم مدينة أو قرية .

– بل هو اسم بلدة كبيرة ، والقصر نفسه قديم جدا واقطاعى بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ... بأشباحه ولوحاته وسلالمة السرية ويضم قاعة مسرح كبيرة وتريد الليدى راستنبورى احياء حفلة خاصة تعرض فيها اوبرا بترفلاى .

– بترفلاى ؟

– وهى على استعداد لأن تدفع لك ما تريدين ، ولكن يجب تدبير الأمر مع كوفنت جاردن طبعا . ستتقاضين مبلغا خياليا وسيكون فى هذا دعاية طيبة لك

قالت فى ازدراء كبير :

– دعاية ؟ .. لى أنا ؟

أجاب كوان :

– زيادة الخير لا تضير .

تمتمت البريمادونا :

– راستنبورى ؟ ... أين قرأت هذا الاسم ؟ ...

وأسرعت الى المكتب وتناولت مجلة راحت تقلب صفحاتها ثم توقفت فجأة . وبعد صمت طويل ألقت بالمجلة على المكتب ثم عادت فى بطء وجلست . كان كل شئ فيها

قد تغير ونم عن تعبير صارم قاس .

وقالت :

– عليك أن تدبر ذلك . سأغنى ... ولكننى لن أغنى الا توسكا ... لن أقوم بأى دور آخر .

تمتم كوان :

– سيكون ذلك عسيرا ... من الصعب نقل مناظر وديكورات توسكا الى مسرح خاص .

– قلت توسكا ولا شئ آخر .

بدا الاقتناع على كوان فجأة . ونهض وهو يقول :

– حسنا . سأدبر ذلك .

وكانت قد نهضت هى الاخرى ، وبدا أنها تريد تبرير قرارها لأنها قالت :

– انه دورى الكبير يا كوان . لم يضارعنى فيه أحد أبدا .

قال كوان :

– – نعم . لا بأس . لقد أصابت جيرتزا فيه نجاحا كبيرا فى العام الماضى .

صاحت وقد اضطرم وجهها سخطا :

– جيرتزا !

وصارحته برأيها فيها ولكن كوان كان يعرف طباعها فلم يصغ اليها وقال :

– كل هذا لا يمنع انها فنانة موهوبة ضالعة فى فنها .

قالت بولا نازاركوف :

– اننى أفضل منها بكثير ... ليس هناك من يضارعنى فى هذا المضمار . اننى أكيف صوتى كما أريد وكما يقتضيه الدور الذى أقوم به كما علمتنى راهبات الدير منذ وقت طويل ... أكيف صوتى فأجعله يبدو كصوت طفل فى الكورس أو كصوت

ملاك عادى طاهر ليس فيه أى انفعال .

قال كوان وقد أخذه التأثر :

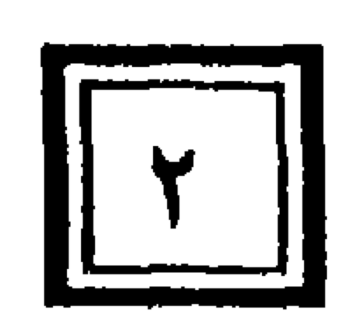
- اعرف ذلك . انك عظيمة رائعة .

وقالت البريمادونا :

- ان الفنان يجب أن يدفع الثمن فيتألم ويحتمل كل شئ لكى يكتسب القدرة على الرجوع الى الوراء واستعادة الجمال الضائع فى قلب طفل .

رماها كوان بنظرة غريبة . رأي فى عينيها وميضا غريبا جعله يرتجف وتمتمت ببضع كلمات سمعها بالكاد :

- أخيرا ... أخيرا ... بعد كل هذه السنين .



عرفت الليدى راستنبورن كيف تجمع بكل نجاح بين الطموح وحب الفن ولم يكن زوجها على غرارها فى هاتين النقطتين فتركها تفعل ما يحلو لها . كان رجلا ضخما أحمر الوجه لا يكترث بشئ فى الدنيا فيما عدا جياده . وقد سره أن يكون من الثراء بحيث يتمكن من تلبية رغبات زوجته ونزواتها . وكانت قاعة المسرح بالقصر قد بنيت فى عهد جده وأصبحت الهوية الخاصة لليدى راستنبورن عرضت فيها احدى مسرحيات أمس التى تدور حول الطلاق والمخدرات ومسرحية أخرى كوميدية تدور أحداثها فى كوبا . وقد دعت النخبة الممتازة من الطبقة الراقية الانجليزية لمشاهدة أوبرا توسكا بعد أن أقامت لها دعاية كبيرة .

وكانت مدام نازاركوف وفرقتها قد اقبلوا قبيل الغداء وتم الاتفاق على أن يقوم التينور الأمريكى هنسديل بدور كافاردوس أما روسكارى ، الباريتون الايطالى المشهور فقد اتفق على ان يقوم بدور سكاربيا . وكانت النفقات باهظة ولكن أحدا لم يعبأ بذلك

وكانت بولا نازاركوف معتدلة المزاج بادية الغبطة وقد دهش كوان لذلك وتمنى لو ان يستمر الحال على هذا المنوال .

واذ فرغ القوم من تناول الغداء انتقلوا الى المسرح لتفقد المناظر والديكورات . وكان قائد الاوركستر هو صامويل ويدج وهو قائد قدير والغريب أن مستر كوان لم يشعر بأى ارتياح ازاء ذلك فقد كان كل شئ يبدو على ما يرام أكثر من اللازم ، وقال يحدث نفسه :

– ليت ذلك يدوم فان سحنة نازاركوف لا تبشر بالخير .

كانت تجربته الطويلة فى دنيا المسرح قد نمت فيه حاسة سادسة لا تخطئ ، والواقع أن اليز الخادمة الفرنسية أسرعت اليه فى الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم وصاحت به .

– مستر كوان ... أرجو ان تأتى معى حالا .

سألها كوان فى انزعاج :

– ما الخبر ؟ .. هل أتت المدام باحدى نزواتها ؟ ... كنت أتوقع ذلك .

– كلا ، كلا يا سيدى ... لم يصدر شئ من سيدتى وانما هو السنيور روسكارى... انه مريض ... انه يحتضر .

– آه . انك تبالغين . اذهبى بى اليه .

وتبع الخادمة التى راحت ترتجف من الخوف ، ووجد الايطالى الصغير يتلوى فى فراشه من الألم فى حركات كانت بالحرى تثير الضحك .

وكانت بولا نازاركوف منحنية فوقه . وقد استقبلت كوان أسوأ استقبال فقد بادرته قائلة :

– ها أنت أخيرا ... انها غلطتك أنت . ان روسكارى المسكين يتألم كثيرا . لاريب انه تناول شيئا فاسدا .

وتأوه المريض قائلا :

– اننى سأموت . آه . يا لهذه الآلام ! .. انها فظيعة ... آه .

وتلوى فى فراشه ويداه على بطنه . وقال كوان :

– طبيب ... لابد من طبيب .

ولكن بولا أوقفته بحركة من يدها قائلة :

– انه فى الطريق وسيبذل قصارى جهده لتهدئة آلام صديقنا المسكين من غير شك ولكنه لن يستطيع الغناء الليلة .

تأوه الايطالى قائلا :

– لن أستطيع الغناء ... لا الليلة ولا أى ليلة أخرى ... اننى سأموت .

قالت بولا :

– أبدا ... انك تشكو من عسر هضم لا غير . ولكنك لن تستطيع أن تقوم بدورك على خشبة المسرح على كل حال .

– لقد دس بعضهم السم لى .

قالت بولا :

– بل أنك تشكو من مغص فى معدتك من غير شك . ابق بجواره يا اليز الى أن يأتى الطبيب .

وأخذت كوان الى الخارج وسألته قائلة :

– ماذا نفعل ؟

– هز كوان رأسه . كان الوقت لا يسمح بأن يبعثا بطلب مطرب آخر من لندن لكى يحل محل روسكارى . وعلمت الليدى راستنبورن بمرض روسكارى فأسرعت اليها ومثلها كمثل بولا نازاركوف لم تفكر الا فى نجاح حفلتها وتأوهت البريمادونا قائلة :

– ليس أمامنا من يحل محله .

ولكن الليدى راستنبورن صاحت فجأة وقالت :

- آه . تذكرت ... هناك بريون طبعا .

- بريون ؟

- نعم ... ادوارد بريون ، وأظنك تعرفينه جيدا ... انه ذلك الباريتون الفرنسى المشهور ، وهو يقيم بجوارنا وقد نشرت مجلة كاونترى هاوسس صورة لبيته فى العدد الذى صدر هذا الاسبوع . انه الرجل الذى يلزمنا .

صاحت بولا نازاركوف فى ذهول :

- ان السماء لم تتخل عنا ... بريون فى دور سكاربيا ! ... اننى أتذكره جيدا . انه أحسن من قام بهذا الدور ولكنه اعتزل الغناء .

قالت الليدى راستنبورى :

- وسأخرجه من عزلته . اعتمدى على .

وما هى الا عشر دقائق حتى كانت قد اقتحمت القصر الذى يعتزل فيه بريون فان الليدى راستنبورى كانت اذا عقدت النية على أمر ما لا يمكن أن يصرفها عنه أى شئ . وقد أدرك بريون على الفور انه لابد له من الرضوخ لارادتها . وثمة أمر لابد من الاعتراف به وهو انه كان شديد الميل الى النساء النبيلات صاحبات الألقاب الرنانة فقد كان هو نفسه من أصل متواضع وقد صعد السلم الاجتماعى درجة درجة وأحس بغبطة كبيرة لمخالطة النبلاء ولكن عزلته فى مثل هذا المكان المفقود فى قلب انجلترا خيب آماله بعض الشئ . لم يكن يفتقر الى تصفيق الجمهور واعجابه به ولكن حز فى نفسه أن القرويين والريفيين لم يقدروه حق قدره وقد جاء عرض الليدى راستنبورى كالبلسم لقلبه المقروح .

قال مبتسما :

- سأبذل جهدى . اننى لم أغن أمام الجمهور منذ وقت طويل . وكذلك لم أتمرن

ولكن فى هذه الحالة بالذات ، وازاء مرض السنيور روسكارى المؤسف ...

قالت الليدى راستنبورى :

– انها ضربة قاسية .

وقال بريون :

– مهما يكن فهو ليس بالمطرب الموهوب حقا .

وقضى بضع لحظات يحاول أن يبرهن لها على ما يقول ، وعلى انه لم يصعد على خشبة المسرح مغن قدير آخر غيره منذ اعتزاله الفن . وقالت الليدى راستنبورى :

– ستقوم مدام نازاركوف بدور توسكا . لاريب انك تعرفها ؟

أجاب بريون .

– انني لا أعرفها شخصيا ولكنني سمعتها تغنى فى نيويورك . انها فنانة كبيرة وتعرف معنى الدراما .

أحست الليدى راستنبورى بالارتياح . لم تكن تعرف ماذا تفعل مع هؤلاء الفنانين، فقد كان يسود بينهم جو غريب من العداء والغيرة .

وعادت إلى القصر بعد عشرين دقيقة وهى تهز يدها فى زهو وانتصار . وقالت ضاحكة :

– أنه سيأتى .. كان مسيو بريون رقيقا جدا .. لن أنسى له هذا .

واسرع الجميع حول الفرنسى ، وكانت تحيتهم له وتقديرهم لفنه باسما . وعلى الرغم من انه كان فى الستين من عمره إلا أنه كان لايزال وسيما وجميلا ، طويل القامة له شخصية جذابة .

وقالت الليدى راستنبورى :

– ولكن أين المدام ؟ .. آه .. هاهى .

ولم تكن بولا نازوركوف قد اشتركت فى تحية الفرنسى وإنما بقيت جالسة فى

مكانها فى هدوء فى ظل الموقد ولم يكن بهذا الأخير أية نار بالطبع فقد كان الجو حارا ، وكانت تمروح لنفسها بمروحة من أوراق الشجر . وكانت متحفظة ، متعالية بحيث أن الليدى راستنبورى خشيت أن يكون قد وقع ماأساءها أو كدرها .

وقادته إلى المطربة وهى تقول :

– مسيو بريون .. قلت لى انك لم يسبق أن التقيت بمدام نازوركوف .

مروحت المدام بالمروحة مرة أخرى ثم تركتها تسقط من يدها وبسطت أناملها إلى الفرنسى فأخذها هذا الأخير وانحنى فوقها . وتنهدت البريمادونا تنهيده خافتة وقال بريون :

– أننا لم نشترك فى الغناء قبل اليوم يامدام ، وهذا عقابى . ولكن القدر كان سخيا معى فخف إلى نجدتى .

ضحكت بولا فى رقة وقالت :

– انك كريم جدا يامسيو بريون .. اننى جلست عند قدميك وأنا لاأزال مغنية صغيرة مغمورة .. انك رائع فى دور ريجوليتو .. دور كله فن وكمال .. لايمكن لأحد أن يضارعك فيه أبدا .

قال بريون وهو يتنهد :

– واأسفاه ! .. ان أيامى قد انتهت .. سكاربيا .. ريجوليتو .. راداميس وشاربلس .. طالما غنيت هذه الأدوار .. أما الآن فلا شىء على الاطلاق .

– ولكنك ستغنى الليلة .

– آه .. هذا صحيح يامدام .. اننى نسيت .. الليلة .

قالت نازوركوف فى عجرفة :

– انك غنيت فى توسكا مع كثيرات غيرى ولكنك لم تغن معى قط .

انحنى الفرنسى وقال فى رقة :

- سيكون ذلك أكبر شرف لى .. فهو دور كبير يامدام .

وقالت الليدى راستنبورى :

- انه دور لايتطلب مغنية فحسب ولكنه يتطلب ممثلة قديرة أيضا .

أيدها بريون قائلا :

- هذا صحيح .. اذكر انني حين كنت شابا كنت فى ايطاليا ودخلت مسرحا فى ميلانو صدفة . وقد كلفنى مقعدى ليرتين فقط ولكننى سمعت فى تلك الليلة مغنية قديرة كما لو كنت فى مسرح متروبوليتان بنيويورك . كانت فتاة صغيرة وقد غنت توسكا كما لو كانت ملاكا . لن أنسى صوتها أبدا وهى تغنى " فيسى دارتى " ... كان صوتها نقيا واضحا وان كان ينقصه القوة .

أومأت نازوركوف وقالت فى هدوء :

- ان القوة تأتى فيما بعد .

- هذا صحيح .. أما الفتاة الصغيرة فكانت تدعى بيانكا كابيللى . وقد اهتممت أنا نفسى بمستقبلها ، وبفضلى أنا شقت طريقها وحصلت على عقود كبيرة . ولكنها كانت من الحماقة .. بكل أسف ..

وهز كتفيه فانبرت بلانش آمرى ، ابنة الليدى راستنبورى ، وهى فتاة فى الرابعة والعشرين من العمر هيفاء القامة ذات عينين زرقاوين واسعتين . وسألته قائلة :

- وكيف ذلك ؟

تحول الفرنسى إليها وأجاب فى لهجة مهذبة :

- مما يؤسف له ياآنسة أنها ورطت نفسها مع شخص حقير .. وضيع من الأشقياء.. وقع فى مشاكل مع رجال البوليس وصدر عليه حكم بالأعدام وجاءتنى وطلبت منى أن أتدخل لكى انقذه .

حدقت بلانش آمرى فيه وقالت لاهثة :

واهتزت مشاعر اللورد ليكوغير العجوز ، وهو ذواق كبير للموسيقى ، وتمتم سفير أجنبي يجلس بجواره يقول له :

- ان نازوركوف أبدعت الليلة . لا توجد امرأة أخرى يمكن أن تقوم بهذا الدور على المسرح كما قامت هي به الآن .

وهز ليكو نمير رأسه موافقا .

وذكر سكاربيا ثمنه فريعت توسكا وهرعت الى النافذة ، وأدركت دقات الطبول من بعيد وألقت توسكا بنفسها فوق الأريكة فى اعياء فى حين وقف سكاربيا بجوارها يذكر لها كيف أن قومه ينصبون المشنقة لها ... ثم الصمت . ومن جديد ترتفع دقات الطبول وترقد نازوركوف على الاريكة وقد تدلت رأسها الى أسفل تكاد تلمس الأرض والشعر يغطيها ... ثم تناقض كبير بين الحب والألم طوال الدقائق العشرين الأخيرة ولا يلبث صوتها ان يرتفع واضحا جليا وهى تغنى مأساتها فى صوت رائع أخاذ ساحر النغمات ثم ختمت غناءها وراحت تتوسل حتى اللحظة التى دخل فيها سبوليتا . وعندئذ ترضخ توسكا بالأمر الواقع فى اعياء فينطق سكاربيا بكلماته القدرية ذات المعنى المزدوج . وينصرف سبوليتا مرة أخرى . ثم تأتى اللحظة الحاسمة حين ترفع توسكا كأسا من النبيذ فى يدها المرتعشة وترى الخنجر على المائدة فتخفيه خلف ظهرها..

وينهض بريون ، وسيما ساخرا ، يشتعل حبا وصبابة ويقول : توسكا ، أخيرا أصبحت لى ويومض الخنجر فى نفس اللحظة وتوسكا تردد كلمات الانتقام : هكذا تحب توسكا .

لم يسبق ان اظهرت نازوركوف مثل هذا الابداع فى تمثيل دور الانتقام . وترددت الكلمات الأخيرة التى نطقت بها فى صوت هادئ فى أركان المسرح " انتى الآن أصفح عنه " .

ثم بدأ نشيد الموت وتوسكا تقوم بالطقوس الدينية فتضع الشموع على جانبى رأسه والصليب فوق صدره ثم وقفتها الأخيرة بالباب وهى تلقى اليه آخر نظرة مع دقات الطبول البعيدة وهبوط الستارة .

وفى هذه المرة دوى التصفيق بين الحاضرين . ولكن الهتاف كان قصير الأمد فقد أقبل بعضهم من الكواليس مسرعا وأسر شيئا فى اذن اللورد راستنبورى فنهض هذا الأخير واقفا واستأذن ممن حوله ثم غادر مكانه . ولكنه لم يلبث ان عاد وطلب من سير دونالد كالتروب ، وهو طبيب مشهور أن يتبعه . وسرت الحقيقة بين الحاضرين على الفور ، فقد حدث شئ ... وقع حادث واصيب بعضهم بجرح بالغ . وظن أحد الممثلين أمام الستارة وقال ان مسيو بريون أصيب بحادث مؤسف وان الاوبرا لا يمكن أن تستمر.

ومرة اخرى عرف الجميع ان بريون أصيب بطعنة قاتلة وان نازوركوف فقدت رأسها الى حد أنها عاشت الدور الذى مثلته بحيث انها طعنت زميلها فى الغناء . وبينما كان اللورد ليكو نمير يتحدث مع صديقه السفير أحس بلمسة فوق ذراعه فتحول ليرى بلانش آمرى التى أسرعت تقول :

– لم يكن حادثا . أستطيع أن أؤكد لك انه لم يكن حادثا . ألم تسمع قبل العشاء تلك القصة التى رواها لنا عن تلك الفتاة الايطالية ... ان تلك الفتاة هى بولا نازوركوف بنفسها فانها ما كادت تقول انها روسية حتى رأت الدهشة ترتسم على وجه كوان ، فقد كان يعلم تماما انها ايطالية وانها اتخذت اسما روسيا .

قال اللورد ليكو نمير :

– أى عزيزتى بلانش .

– أقول لك اننى واثقة من ذلك . ان فى مخدعها مجلة مصورة مفتوحة عند الصفحة التى فيها صورة مسيو بريون فى بيته الريفى . كانت تعرف ذلك قبل أن تأتى هنا . وانى أعتقد أنها أعطت ذلك الرجل الايطالى المسكين شيئا أصابه بالمرض

صاح اللورد ليكو ثمير :

- ولكن لماذا ؟ ... لماذا ؟

- ألا ترى ؟ ... أنها قصة توسكا مرة أخرى ... كان يشتهيها فى ايطاليا ، ولكنها كانت مخلصة لعشيقها ، وقد ذهبت تتوسل اليه لكى ينقذ هذا العشيق فوعدها بأنه سيفعل ثم تخلى عنها وتركه يلقى حتفه بعد ذلك . وقد انتقمت منه الليلة بعد كل هذه المدة . هل سمعتها وهى تغنى " أنا توسكا .. " اننى رأيت انطباعات وجه بريون عندما قالت ذلك ... انه عرفها ... نعم ، عرفها .

ووقفت بولا نازوركوف فى غرفتها لا تتحرك وقد ألقت حول كتفيها معطفا من الفرو . وطرق الباب فقالت :

- ادخل .

ودخلت اليز ، وكانت تبكى وقالت :- سيدتى ... سيدتى ... انه مات .. انه .

- نعم ؟

- سيدتى ... كيف أستطيع أن أقول لك ؟ ... هناك رجلان من رجال البوليس يريدان التحدث اليك .

نهضت بولا نازوركوف واقفة وقالت فى هدوء :- سأمضى اليهما .

وفكت عقد اللؤلؤ من حول عنقها ووضعته فى يدى الفتاة الفرنسية قائلة :

- هذا العقد لك يا اليز . انك كنت فتاة طيبة ... لن أحتاج اليه فى المكان الذى سأمضى اليه ... هل تفهمين يا اليز ؟ ... لن أغنى توسكا ثانية .

ووقفت لحظة بجوار الباب وعيناها تدوران بالغرفة كما لو كانت تنظر للمرة الأخيرة الى الثلاثين عاما التى قضتها فى مهنتها ثم تمتمت بين شفتيها بآخر كلمتين من أوبرا أخرى قائلة : - انتهت المهزلة .

***

ساحرة القرية

قال الدكتور هايدوك :

– حسنا ... كيف حالك الآن ؟

ابتسمت مس ماربل ، وكانت شديدة الشحوب وقالت :

– يبدو لى ان صحتى قد تحسنت ولكننى أشعر بأعياء شديد ولا أستطيع أن امنع نفسى من التفكير بأنه كان من الأفضل لو اننى بقيت هنا ، فانا امرأة عجوز ولن يشكو منى أحد ...

قاطعها الدكتور هايدوك وقال برزانته المعهودة :

– نعم ، اننى أفهم ... رد الفعل المعتاد بعد الحمى التى مررت بها . ان ما تحتاجين اليه الآن هو شئ يبعد عنك الأفكار السوداء ... منشط نفسانى .

تنهدت مس ماربل وهزت رأسها موافقة واستطرد الدكتور هايدوك قائلا :

– وان معى العلاج .

وألقى مظروفا فوق الفراش وقال :

– هذا هو العلاج الذى يلزمك تماما ... لغز غامض يعيد اليك نشاطك .

– لغز ؟

وبدا الاهتمام على مس ماربل وقال الطبيب وقد اضطرم وجهه قليلا :

– هى محاولة أدبية من ناحيتى . حاولت أن أخلق قصة مما يدور من اشاعات وأقاويل ، ولكن الوقائع حقيقية .

سألته مس ماربل :

- ولماذا تقول انها لغز غامض .

قطب الدكتور هايدوك حاجبيه وقال :

- ذلك لأننى أريد أن تحاولى وضع النهاية . أود أن أعرف اذا كنت ما تزالين على ما نعهده فيك من مقدرة .

وغادرها على اثر هذه الكلمات .

وأخذت مس ماربل القصة وبدأت قراءتها .

***

(بداية قصة الدكتور هايدوك) .

سألت مس هارمون بصوت مرح :

- ولكن أين العروس ؟

كانت كل القرية تتلهف لرؤية العروس الجميلة التى أتى بها هارى لاكستون من الخارج كان الرأى العام قد أجمع على أن هذا الشقى قد وضع يده على النمرة الرابحة .

كان الجميع يتسامحون مع هارى ، حتى أصحاب الفترينات التى حطمها بنبلته . كانوا يشفقون عليه أمام سحنته النادمة . حطم ألواحا كثيرة ووطأ المزروعات واصطاد فى أملاك الغير ، وفيما بعد استدان وارتبط لدرجة ما مع ابنة موظف البرية ولكنه لم يلبث أن تحلل من كلمته وسافر الى أفريقيا . وقالت نساء القرية عندئذ ، وكأنها من العجائز ذوات النوايا الطيبة : أوه ... سوف يعود بعد أن يتعقل .

واليوم ، عاد الفتى المدلل . لم يكن حزينا اطلاقا وانما كان ظافرا منتصرا . لقد حالفه الحظ هارى لاكستون وازداد تعقلا . جد وكد ثم التقى بفتاة تجرى فى عروقها دماء فرنسية وبريطانية ، وتملك ثروة طائلة ، غازلها وطارحها الهوى وتزوجها .

كان فى مقدور هارى أن يعيش فى لندن أو أن يبحث له عن قصر فى منطقة حديثة ولكنه آثر العودة الى حيث يحس انه فى بلده . وبلغ به الخيال والرومانسية أن اشترى

الأرض المهجورة التى تحيط بالقصر الذى قضى فيه طفولته وحداثته .

كان قصر كنسجديل مهجورا منذ ما يقرب من سبعين سنة . وكانت المبانى توشك أن تتداعى وتنهار . وفى الركن الوحيد منه الذى يصلح للاقامة . كان يعيش حارس مسن ومعه زوجته . وكان القصر فسيحا وكئيبا تحيط به الأشجار الميتة والبساتين التى لم يعد ينمو فيها غير الأعشاب البرية .

أما القصر نفسه فكان جميلا حقا استأجره قبل ذلك بمدة طويلة الميجور لاكستون ، والد هارى ، ولما يزال هذا الأخير طفلا . وقد طاف هارى بأراضى كتجسدين كلها وعرف كل شبر فيها . وقد افتتن بالبيت القديم ايما افتتان .

كان الميجور لاكستون قد مات منذ سنوات وحسب الأهالى أنه لم يعد هناك ما يربط هارى بالقصر ، ومع ذلك فقد عاد هو وزوجته الى البيت الذى قضى فيه طفولته.

وسرعان ما أزيلت الأطلال القديمة للقصر وأقبل جيش من المهندسين والمقاولين وتولوا اعداد الموقع وفى وقت قياسى ، وبفضل المال الوفير اقيم قصر جديد وقف شامخا ببياضه وسط الأشجار .

ثم جاءت فرقة من البستانيين ، وجاءت بعدهم سيارات النقل المحملة بالأثاث والمفروشات .

وتم تجهيز البيت واعداده للسكنى وأقبل الخدم واتخذوا أماكنهم ، وجاءت أخيرا سيارة ليموزين فارهة وقفت أمام البيت وهبط منها هارى وزوجته .

وأراد كل من أهالى القرية أن يكون هو السابق الى دعوتهما ولكن مسز براين ، صاحبة أكبر قصر فى المنطقة التى تعتبر نفسها سيدة القرية ، كانت هى السابقة الى ارسال بطاقات الدعوة للتعرف بالعروس .

وكانت حفلة التعارف حدثا كبيرا . واشترت أكثر سيدات القرية ثيابا جديدة لهذه المناسبة بالذات ، وبلغت اللهفة بكل منهن أقصى درجة . واستولى عليهن الفضول

والانفعال لمجرد فكرة رؤيتهن لهذه المخلوقة الخيالية العجيبة .. فقد كانت قصتها أشبه بقصص الحوريات .

ولم تنقطع مس هارمون ، وهى عانس ترك الزمن آثاره على بشرتها ، تزداد سؤالها وهى تشق طريقها بين الحشد الذى غزا به الصالون . وأسرعت مس برنت ، وهى عانس هى الأخرى ، بارزة عظام الوجه ، حادة الطباع ، أسرعت إلى نجدتها قائلة :

- أوه ، أنها جميلة جدا ياعزيزتى .. فى مقتبل الشباب ورقيقة الطباع لايسع من تراها إلا أن تغار منها حقا . انها جمعت بين الجمال والمال والأدب .. ثم انها بعيدة جدا عن الابتذال ، وهذا العزيز هارى لايرفض لها طلبا .

- وماذا كنت تنتظرين ؟ .. هكذا تجرى الأمور دائما فى البداية .

تحرك أنف مس برنت دليلا على الموافقة وقالت :

- أوه ، هل تعتقدين هذا حقا ياعزيزتى ؟

أجابت مس هاريسون :

- أننا جميعا نعرف من هو هارى .

- بل نعرف كيف كان .. ولكننى أعتقد الآن ...

- حقا ؟ .. ان الرجال الذين يولدون أوغادا لايتغيرون أبدا ويبقون على طباعهم . اننى أعرفهم جيدا ياعزيزتى .

بدت مس برنت أكثر مرحا فجأة وقالت :

- نعم . يخامرنى احساس بأنها لن تلبث أن تواجه المشاكل مع شاب مثله . لعل من الواجب أن ننذرها . أننى أتساءل إذا كانت قد سمعت عن هذه القصة القديمة التى..

- ليس من الكياسة اخفاء الحقيقة عنها .. ليس من الكياسة أبدا خصوصا وأنه لاتوجد سوى صيدلية واحدة فى القرية .

ويجب أن نتذكر أن ابنة موظف البريد تزوجت مستر ايدج الصيدلى .

واستطردت مس برنت تقول :

— من الأوفق بالتأكيد أن يعترف لها بكل شىء .

قالت مس هاريسون :

— هذا إذا لم يكن هارى لاكستون قد أخبرها بالأمر بنفسه .

وتبادلت العانستان نظرة ذات مغزى وقالت إحداهما :

— مهما يكن فلابد لها أن تعرف .

***

صاحت كلاريس فين :

— أنهم متوحشون !

ورمت خالها الدكتور هايدوك بنظرة غاضبة وعادت تقول :

— ماهم إلا وحوش ..

نظر الدكتور هايدوك إليها فى فضول . كانت فتاة طويلة القامة سمراء جميلة تسرى فى عروقها دماء حارة . ولمعت عيناها الكستانيتان الواسعتان وهى تقول :

— كأنهم قطط تلهو بفأرة ! انهم يقولون أشياء ..

— عن هارى لاكستون ؟

— نعم .. وعن العلاقة التى كانت بينه وبين ابنة موظف البريد .

— أوه .. وما أكثر الشباب الذين كانت لهم مثل هذه العلاقات كما تعرفين !

— طبعا .. ولكن هذه القصة بالذات قديمة ولاأرى لماذا يصممون على أحياء الماضى. أنهم وحوش متعطشون للدماء .

— هذا مايبدو لك أنت ياعزيزتى ، ومع ذلك فأنت تعلمين انه ليس هناك أى شىء آخر يشغلون أنفسهم به غير الفضائح الصغيرة . ولكن لماذا يزعجك هذا الأمر إلى هذا

أن تتقهقر واكتفت بأن رفعت قبضتها نحوه متوعدة مهددة .

وتشبثت لويز بذراع زوجها وقالت :

- من هذه .. المرأة العجوز البشعة .

قطب هارى حاجبيه وقال :

- انها العجوز مرجا ترويد ... كانت تقوم بحراسة القصر هى وزوجها وقد أقاما فيه نحو ثلاثين عاما .

- ولكن لماذا توعدتنا وهددتنا بقبضتها .

- حسنا . لم يرق لها أن أهدم القصر ، ومع انى اطردها منه . لقد مات زوجها منذ سنتين ومنذ ذلك الحين وهى تبدو غريبة الأطوار .

ولكن هل لديها ما تقتات منه ؟

كانت للويز آراء ميلودرامية فى بعض الأحيان . والواقع أنه من الصعب على الأثرياء أن يعيشوا فى عالم الواقع . وقال هارى فى دهشة :

- يا الهى ! ... ما هذا السؤال يا لويز ؟ ... إننى بالطبع أعطيها أكثر مما تحتاج اليه ، بل إننى أقمت لها بيتا جديدا .

سألته لويز فى حيرة :

- ماذا تريد أكثر من هذا اذن ؟

بدا على هارى كأن هناك ما يشغله وأجاب :

- ليتنى أعرف ذلك انها مخبولة تماما . لا شك انها تتحسر على القصر القديم .

- ولكنه لم يكن سوى اطلال ، أليس كذلك ؟

- نعم . كان موشكا على الانهيار فى أية لحظة . ولكن لعله كان يرمز لشئ عزيز بالنسبة لها ، ولابد أن أعصابها قد خانتها وانهارت .

قالت لويز فى ارتباك :

- أخشى أن تلقى علينا سحرا ... أو آه يا هارى ! ... أرجو ألا يكون ذلك صحيحا .

***

بدا للويز ان تلك المرأة العجوز المتوعدة قد أصبحت تهدد كل حياتها . فاذا ما خرجت بالسيارة أو ركبت جوادها أو تنزهت مع كلابها ، خيل لها انها تراها فى طريقها وقد وضعت على رأسها قبعة بالية تغطى بها شعرها الأبيض وتستنزل عليها اللعنات..

وانتهى الأمر بلويز الى أنها اعتقدت أن هارى على حق ، وان المرأة العجوز مخبولة حقا . على ان ذلك جعلها تفقد هدوءها فان مسز مرجاترويد وان كانت لم تدخل فى نطاق القصر أبدا ، واذا كانت لا تستنزل اللعنات بصورة سافرة ، الا أنها كانت تجلس القرفصاء دائما على مقربة من القصر .

لم تكن هناك جدوى من اللجوء الى البوليس ، ومهما يكن فان هارى قد اعترض على ذلك محتجا بأن هذه الخطوة لن يكون من شأنها الا مضاعفة عطف الأهالى عليها . كان يواجه الموقف بشجاعة أكثر من لويز نفسها . وقد قال :

- لا تقلقى يا عزيزتى . لن تلبث أن تسأم . انها لا تحاول الا التأثير علينا .

- كلا يا هارى . انها تمقتنا .. اننى أحس بذلك انها تريد أن تلحق بنا شرا .

- هراء . لعل لها هيئة الساحرة ولكنها ليست كذلك حقا . لا داعى لأن تزعجى نفسك بهذا الأمر .

سكتت لويز . والآن وقد هدأت الانفعالات الأولى للانتقال والسكنى الجديدة ، فقد أحست احساسا غريبا بالوحدة وبعيدة عن أسباب اللهو والمرح . كانت قد مارست الحياة فى لندن وفى الريفييرا ، وبدا الآن أنها تستطيب حياة الريف الانجليزى . أنها لم تكن على أية دراية بأعمال البساتين ولم تكن تعرف كيف تصنع باقات الزهور ثم انها لم

تكن فى الواقع تميل الى الكلاب .. أما جيرانها فكانوا يثيرون مللها وضيقها .

كان الشئ الوحيد الذى تفضله هو ركوب الخيل ... أحيانا برفقة هارى وأحيانا بمفردها عندما يكون هذا الأخير مشغولا بشئ ما . كانت تتجول فى الغابات وفى الطرقات التى تحيط بالقصر تاركة العنان " للامير هالى " . وهو اسم الجواد الذى اشتراه هارى لها . ولكن ما أن يقترب الجواد بصاحبته من المرأة العجوز الجالسة القرفصاء حتى يشب بقائمتيه الاماميتين فى الهواء ويصهل .

وذات يوم استجمعت لويز شجاعتها عندما اقربت فى طريق نزهتها بمسز مرجا ترويد دون أن تعبأ بها ولكنها لم تلبث أن عادت وتوقفت أمامها وسألتها وهى تلهث :

- ماذا يحدث هنا . ؟ ماذا تريدين ؟

رمشت المرأة العجوز بعينيها . كان وجهها أسمر تعلوه سمات الخبيث التى يتميز بها الغجر ، وعيناها حادتان ناعستان ، وأجابت فى صوت حاد تشوبه رنة التهديد :

- هل تسألينني ماذا أريد ؟ ... حسنا . أريد ما سلبته انت منى . من الذى طردنى من كنجسدين ؟ ... اننى عشت به منذ أن كنت طفلة وقضيت به أكثر من أربعين عاما ولم يكن من الخير أن تطردينى . تعنى انك لن تصادفى خيرا ، لا أنت ولا هو .

قالت لويز :

- ولكننا بنينا لك بيتا جميلا .

- وبماذا يمكن أن يفيدنى ؟ ... اننى أريد بيتى ونارى التى ظللت أمامها طوال تلك السنين . سيحل الشر بكما معا ... الشر والموت ... والعار .

استدارت لويز وولت هاربة وساقاها لا تقويان على حملها وقالت تحدث نفسها :

- يجب أن أذهب ... لابد من أن نبيع هذا البيت ... لابد أن نرحل .

كان الأمر يبدو لها سهلا فى تلك اللحظة بالذات ولكنها اصطدمت برفض هارى

فقد صاح :

– نرحل ؟ ... نبيع البيت ؟ ... لأن امرأة عجوزا تهددنا ؟ هل جننت ؟

– كلا ، كلا . اننى لست مجنونة ، ولكننى أعرف ان شيئا ما سيصيبنا .

– لا تقلقى . سوف أهتم بأمرها .

وكانت ثمة صداقة ربطت بين كلاريس ثين ومسز لاكستون الشابة . وعلى الرغم من أن طباعهما وخصالهما كانت مختلفة فقد كانتا فى سن واحدة وكانت كل منهما تحس بأنها قريبة من الأخرى ، وكانت لويز تميل الى صحبة كلاريس ، وكانت هذه الأخيرة على شئ كبير من الهدوء والرصانة والثقة بالنفس . وقد روت لها لويز قصة مسز مرجاترويد ووعيدها وتهديدها ، ولكن كلاريس لم تعر الأمر أهمية واكتفت بأن وقالت :

– هذه أمور سخيفة جدا .

– ومع ذلك فانها أمور تخيفنى جدا يا كلاريس ، وقلبى يزداد رجفة كلما فكرت فيها .

– ولكن ليس لك أن تقلقى وتقيمى وزنا لتهديدات سخيفة . ومهما يكن فان المرأة سرعان ما تمل .

وسكتت بضع لحظات ثم أردفت :

– ولكن ماذا بك ؟

لم تجب لويز على الفور ولكنها عقدت نيتها أخيرا على الافصاح عما يخالجها وقالت :

– اننى امقت هذا المكان ... امقت الحياة هنا ... امقت الغابات وهذا البيت والصمت الرهيب المخيم عليه امقت الليل ونعيق البوم الكئيب وامقت الناس كذلك .. وكل شئ .

- الناس ؟ ... أى ناس ؟

- أهالى القرية ... أولئك الفتيات العانسات اللاتى لا هم لهن الا ترويج الاشاعات والأقاويل .

قالت كلاريس :

- وماذا يروجن ؟

- لا أدرى ... لا شئ خاص ، ولكنهن خبيثات ... عندما تتحدثين معهن تحسبين انه لا يمكنك الوثوق بهن ولا بأى شخص آخر .

قالت كلاريس فى لهجة حادة :

- ما عليك الا أن تتناسيهن ... فليس هناك ما يشغلهن غير ترويج الاشاعات ، وهن يختلقنها فى أكثر الأحيان .

- لو كنت أعلم لما أتيت الى هنا . ولكن هارى كان يتوق الى ذلك .

وازداد صوتها رقة وعذوبة وهى تنطق بالكلمات الأخيرة وقالت كلاريس تحدث نفسها " شد ماتحبه ! " .

واستطردت فى صوت مسموع :

- حان الوقت لكى أنصرف .

- سأعود بك بالسيارة . تعالى لزيارتى قريبا .

هزت كلاريس رأسها بالموافقة . .وأحست لويز بالارتياح لزيارة صديقتها الجديدة . وابتهج هارى اذ رآها أكثر مرحا وقال انه من المفيد لها أن ترى كلاريس كثيرا .

وفى ذات يوم قال لها :

- اخبار طيبة لك يا عزيزتى .

- آه ؟

- اننى سويت كل شئ مع العجوز مرجا ترويد . أكنت تعلمين ان لها ابنا فى

أمريكا ؟ ... حسنا ، اننى دبرت الأمر لكى تذهب وتلحق به ، واعطيتها ما يكفيها لرحلتها .

- هارى ! ... هذا عظيم ! ... احس بأننى سأبدأ واحب كنجسدين ..

- تبدئين ؟ .. انه أجمل مكان فى العالم .

ومع ذلك فقد سرت الرعشة فى أوصال لويز ... لم تستطع أن تتخلص من هواجسها بهذه السهولة .

* * *

لو ان نساء قرية سانت مارى ميدكن يتوقعن ان يغتبطن باطلاع لويز على ماضى زوجها بأنفسهن فقد ضاعت الفرصة عليهن لأن هارى سبقهن الى ذلك وفوت عليهن ماكن يحلمن به .

كانت مس هارمون موجودة هى ومس كلاريس فين فى صيدلية مستر ايدج يشتريان بعض ما يحتاجان اليه عندما دخل هارى لاكستون وزوجته الى الصيدلية .

وبعد أن حيًا هارى العميلتين تحول الى الصيدلى وهم بأن يطلب فرشاة للاسنان عندما أمسك فجأة وراح يضحك فى مرح ثم قال :

- آه ... آه ... ولكن أليست هذه هى العزيزة بيللا ؟

وكانت مسز ايدج قد أقبلت لمساعدة زوجها فابتسمت ابتسامة عريضة كشفت عن اسنانها البيضاء . كانت امرأة شابة سمراء على قسط وافر من الجمال وان كانت قسمات وجهها لم تعد رقيقة كما كانت من قبل ، لها عينان كستنائيتان واسعتان تتقدان حرارة . وأجابت تقول :

- نعم ... أنا بيللا يا عزيزى هارى . يسرنى أن أراك بعد كل هذه السنين .

تحول هارى الى زوجته وقال :

- ان بيللا هذه صديقة قديمة ... كنت أغازلها فيما سبق يا لويز ، وأظن اننى

عشقتها فى وقت من الأوقات ، أليس كذلك يا بيللا .

أجابت مسز ليدج :

- هكذا كنت تقول .

أرسلت لويز ضحكة سعيدة وقالت :

- ان زوجى يسره دائما أن يرى أصدقاءه القدامى .

وقالت مسز ايدج :

- اننا لم ننسبك أيها العزيز هارى ، وقصة زواجك وعودتك واعادة بناء قصر كنجسدين أشبه بقصص الحوريات بالنسبة لنا .

قال هارى :

- اراك فى صحة جيدة وسعيدة . .

أجابته مسز ايدج بأنه ليس هناك ما تشكومنه وأنه من الاوفق أن يذكر لها ماذا يريد .

وقالت كلاريس فين تحدث نفسها فى ابتهاج وهى ترى سحنة مس هاريسون المقلوبة:

- مرحى يا هارى ... لقد تغلبت عليهن .

***

قال الدكتور هايدوك يسأل ابنة أخيه فى لهفة ودهشة :

- ما قصة مسز مرجاترويد التى تلاحق أهل كنجسدين متوعدة مهددة بقبضتها وهى تستنزل عليهم اللعنات .

- ليست قصة وانما هى الحقيقة ، ولويز مهمومة جدا .

- قولى لها الا تعبأ بذلك ، فعندما كان الزوجان مرجا ترويد يقومان بحراسة القصر كانا لا ينقطعان عن قدح وسب أصحابه ، واذا كانا قد بقيا بعد ذلك فذلك لأن

مرجا ترويد كان مدمنا للشراب ولم يكن بمقدوره أن يجد عملا آخر .

قالت كلاريس :

– سأقول لها ذلك ، ولكننى أخشى ألا تصدقك فان المرأة العجوز لا تكف عن ملاحقتها .

– ومع ذلك فقد كانت تعبد هارى عندما كان صبيا . اننى لا أفهم .

قالت كلاريس :

– مهما يكن من أمر فانهما سيتخلصان منها وشيكا فقد منحها هارى مبلغا من المال لكى تذهب الى أمريكا .

وبعد ثلاثة أيام سقطت لويز من فوق صهوة جوادها ولقيت حتفها .

وكانت هناك ، أمام القصر عربة نقل صغيرة بها رجلان شهدا الحادث . وشاهدا لويز تخرج من القصر ممتطية جوادها والعجوز مرجاترويد تعترض طريق الجواد وهى تهز ذراعيها وتصرخ ، الأمر الذى أثار الجواد فألقى براكبته فوق الأرض .

وأسرع أحد الرجلين لتهدئة العجوز المجنونة وهو لا يعرف ماذا يفعل فى حين هرع الآخر الى داخل البيت طلبا للنجدة .

ولم يلبث أن خرج هنرى لاكستون وقد أصفر وجهه وفتح الرجال الثلاثة باب عربة النقل ونقلوا اليها جثة المرأة الشابة لاعادتها الى القصر ، ولكنها لفظت آخر أنفاسها قبل أن تسترد وعيها قبل قدوم الطبيب .

***

(نهاية قصة الدكتور هايدوك) .

عندما عاد الدكتور هايدوك فى اليوم التالى سره أن يرى أن اللون قد عاد الى وجه مريضته مس ماربل وأنها استعادت كامل نشاطها . وقال :

– حسنا ... ما رأيك ؟

واجهته مس ماربل قائلة :

- ولكن أين المشكلة ؟

- هيا هيا يا عزيزتى ... هل يجب حقا أن أقول لك ؟

قالت مس ماربل :

- أظن انها تكون فى سلوك مسز مرجا ترويد الغريب . ولكن لماذا تصرفت هكذا ؟ ان الناس لا يطيب لهم أن يطردوا من بيوتهم ، ولكن القصر لم يكن ملكا لها ، ثم انه يبدو انها لم تكف عن الشكوى وعن تصرفاتها الغريبة حتى قبل قدوم الزوجين الشابين واذن ؟ ... ولكن ما الذى جرى لها ؟

- انها سافرت الى ليفربول حيث اختفت ، والمعتقد انها استقلت احدى البواخر .

قالت مس ماربل :

- لقد جاء اختفاؤها مناسبا للبعض على كل حال ... نعم أعتقد ان فى مقدورنا ان نحل لغز الساحرة العجوز ... الرشوة !

- أهذا هو الحل ؟

- ما دامت قد اعتادت على تصرفها هذا فلا أرى سببا آخر يدعوها الى الاختفاء هكذا ... لا يمكن أن تكون قد أقدمت على هذا التصرف وعلى الاختفاء بعد ذلك الا اذا كان بعضهم قد دفعها الى ذلك ونقدها الثمن .

- وهل تعرفين هؤلاء البعض ؟

- أظن ذلك ، واعتقد مرة أخرى ان السبب هو المال خصوصا وانني لاحظت كثيرا الى أى حد يتمسك الشباب بنوع المرأة التى يحبونها .

- انتظرى ... انى لا افهمك .

- ومع ذلك فان كل شئ واضح . كان هارى لاكستون معجبا كل الاعجاب ببيللا ايدج ، وهى سمراء نارية العواطف . وابنة اختك لها نفس الصفات . أما زوجته

المسكينة فكانت بعيدة الشبه عنهما ... شقراء ... من النوع الثقيل الظل الذى لا يميل هارى اليه أبدا ... وبهذا يكون قد تزوجها طمعا فى مالها ... وقد قتلها طمعا فى مالها كذلك .

- هل قلت قتلها ؟

- يبدو لى ان هذه الكلمة الصحيحة . كان يروق للنساء ، ولم يكن يقيم وزنا لوازع من ضمير ، وأظن أنه أراد الحصول على ثروة زوجته ثم الزواج بابنة اختك بعد ذلك . ولعل بعضهم رآه وهو يتحدث الى مسز ايدج ولكننى لا أعتقد انه كان لا يزال مقيما على حبها وان كان قد أوحى الى زوجته بذلك لكى يصل الى غرضه .

- ولكن كيف قتلها ؟

نظرت مس ماربل الى الفضاء بضع لحظات ثم قالت :

- كان كل شئ مدبرا بأحكام بما فى ذلك وجود عربة النقل والرجلين اللذين بها وبذلك يشهد الرجلان المرأة العجوز وهى تعترض طريق الجواد فيعتقدان أن سبب الموت هو وقوعها عن ظهر الجواد طبعا . ولكننى أميل بالحرى الى بندقية هواء مضغوط أو الى نبلة . ولا تنس أنه كان ماهرا فى استخدامها ، ولا ريب أنه أطلقها فى اللحظة التى تجاوز فيها الجواد حدود القصر ، وثار الجواد طبعا وألقى بمسز لاكستون من فوق ظهره .

امسكت مس ماربل وقطبت حاجبيها ثم استطردت :

- وكان يجب أن تلقى حتفها على أثر سقوطها ولكنه لم يكن واثقا من ذلك ، ولم يكن هارى من الرجال الذين يرتكبون اخطاء ، ومهما يكن من أمر فلا أرى ما يمنع مسز ايدج من أن تعطيه شيئا خفية عن زوجها ، ولا شك ان هذا هو السبب فى أن هارى كان ظريفا معها ... نعم ، يخامرنى احساس بأنها أعطته عقارا ما وأنه أعطاه لزوجته قبل ذهابك لعيادتها . فعندما تقع امرأة عن ظهر جواد وتصاب بجرح خطير وتموت دون أن

يعود اليها الرشد فان ذلك لا يدعو الطبيب المعالج الى الشك والارتياب أليس كذلك ؟

هز الدكتور هايدوك رأسه فسألته مس ماربل :

- اوه فما الذى أثار الشك فى نفسك ؟

أجاب الدكتور هايدوك :

- ليس هناك أى سحر فى ذلك .لم أفعل أكثر من التحقيق من أمر معروف وهو أن كل قاتل يزهو دائما بمهارته وذكائه بحيث لا يتوفر الحذر المطلوب . كنت أحاول مواساة هذا الزوج المفجوع وانطلق ببعض كلمات العزاء ، وكنت شديد الحزن فى الواقع، عندما تهالك فوق المقعد وهو يتظاهر بالحزن الشديد ، وعندئذ وقع من جيبه محقن زجاجى ... فأسرع بالتقاطه ولكن نظرته المرتاعة حملتنى على التفكير . لم يكن كستون يتناول أى دواء ، وكان فى صحة جيدة فما الذى كان يفعله بالمحقن ؟ وقمت بتشريح الجثة وفى رأسى فكرة معينة فوجدت سم الستوفانتين . وكان الباقى سهلا . وجدت نفس السم فى بيت آل لاكستون . وعندما استجوب البوليس بيللا ايدج انهارت ثم اعترفت بأنها هى التى زودت هارى به . أما العجوز مرجا تروبد فقد اعترفت هى الأخرى بأن هارى لاكستون نقدها مالا لكى تتصرف كما تصرفت .

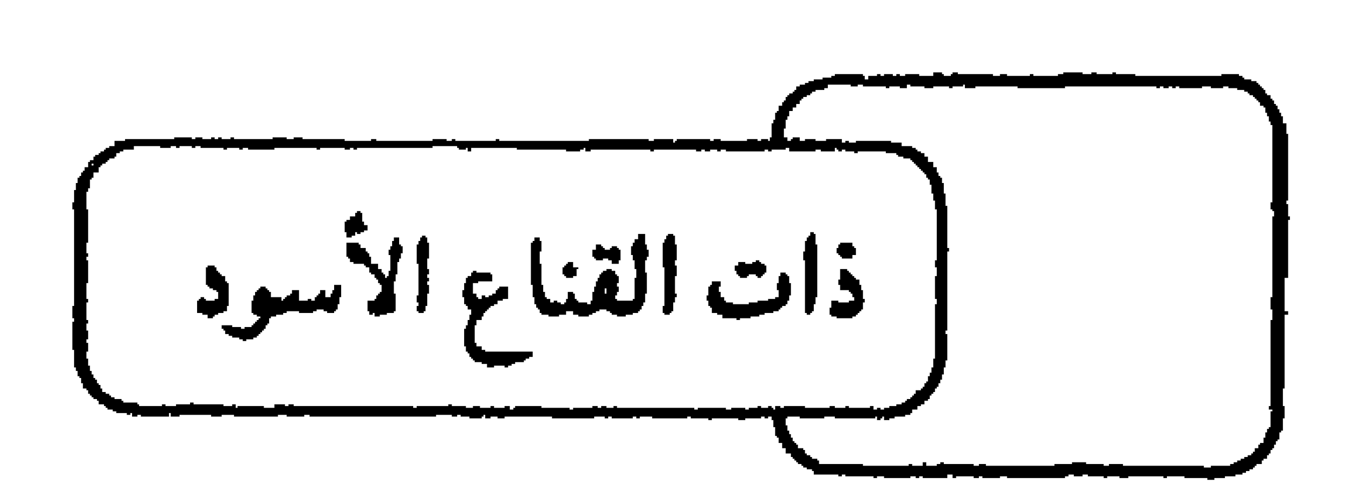
- وابنة أختك ؟

- حسنا . انها كانت تشعر بالميل نحو هارى ولكن الأمر لم يتجاوز مجرد الميل .

والتقط الدكتور هايدوك قصته وقال :

- مرحى يا مس ماربل ... ومرحى لى أنا الآخر لعلاجى . ها أنت قد استعدت صحتك واستعدت نفسيتك .

***



ذات القناع الأسود

كنت الاحظ فى الأيام الأخيرة ان بوارو يزداد عبوسا وأسى يوما بعد يوم . لم تكن تشغلنا اية قضايا أو معضلات هامة ولذلك لم يستطع صديقى ان يستخدم ذكاءه ومقدرته الكبيرة فى الاستنتاج . وفى صباح ذلك اليوم من شهر يوليه ألقى بجريدته فوق الأرض وهو يلفظ لفظة ضيق وفروغ صبر كانت من عاداته المفضلة وكان رنينها أشبه بعطسة القط .

وقال : - انهم يخشون بأسى يا هاستنجز ... أشرار بلادك الانجليز ، انهم يخشوننى فعندما يكون القط موجودا فان الفئران لا تحاول الاقتراب من قطعة الجبن .

قلت وأنا أضحك : - اننى واثق ان أكثرهم لم يسمعوا عنك أبدا .

رمانى بوارو بنظرة عتاب فهو يؤمن دائما بأن الدنيا بأسرها قد سمعت عن هركيول بوارو ومن المؤكد أنه معروف فى لندن ولكننى لا أظن مع ذلك ان وجوده يمكن أن ينشر الرعب فى عالم الجريمة .

سألته : - وما رأيك فى مجوهرات شارع بون التى سرقت فى وضح النهار ؟

أجاب بوارو وكان السؤال قد أعجبه : - أنها ضربة لا بأس بها وان كانت ليست من النوع الذى يستهوينى ، فليس فيها أى ذكاء وانما مجرد جرأة ، فقد حطم اللص الواجهة الزجاجية لأحد محال المجوهرات بعصا فى طرفها قطعة من الرصاص واستولى على الأحجار الثمينة المعروضة بها . وأسرع بعض المواطنين الشرفاء فأمسكوا به وأقبل أحد رجال الشرطة وألقى القبض عليه ، وكانت المجوهرات معه . وذهبوا به الى قسم البوليس وهناك اكتشفوا ان المجوهرات التى معه زائفة وأنه أعطى المجوهرات الحقيقية

لزميل له ، وهو أحد هؤلاء المواطنين الشرفاء الذين حدثتك عنهم . وسيزج بالرجل فى السجن طبعا ولكن عندما يخرج سيجد تحت يديه ثروة صغيرة لا بأس بها . نعم ... أنها طريقة جديدة فى السرقة ولكن ليس فيها أى ذكاء وفى مقدورى أن أفعل أفضل من ذلك ...تأتى على بعض الأوقات يا هاستنجز أندم فيها على اننى ولدت شريفا نزيها . انه لمن الأمور المستحبة أن يعمل الانسان ضد القانون ، على سبيل التغيير .

- دعك من هذه الأفكار السوداء يا بوارو فأنت تعرف انك فريد فى مجالك .

- أجل ... ولكن ماذا يوجد امامى الآن فى هذا المجال .

ابتسمت لغروره والتقطت الجريدة وقلت :

- هناك رجل انجليزى لقى مصرعه بطريقة غامضة فى هولندا .

- هكذا يقولون دائما ثم لا يلبثون أن يكتشفوا بعد ذلك انه تناول سمكا محفوظا وانه مات موتة طبيعية .

- طبعا ، هذا اذا كان ولابد ان تكون سئ النية .

صاح بوارو ، وكان قد اقترب من النافذة :

- آه ... ارى فى الشارع امرأة من ذلك الطراز الذى ينعتون بالمرأة الغامضة المحجبة ... انها تصعد الدرجات الأماميه للبيت وتدق الجرس ... انها قادمة لاستشارتنا ... لعلها تأتينا بقضية هامة ، فعندما تكون المرأة بمثل هذا الجمال فانها لا تحجب وجهها الا لسبب هام .

وبعد لحظات أدخلت صاحبة البيت الزائرة ، وكانت كما قال بوارو تخفى تقاطيع وجهها تحت نقاب سميك . ولم نستطع أن نميز ملامحها الا عندما رفعت نقابها الكريب الأسود ، واستطعت أن الحظ عندئذ أن بوارو قد أصاب فى حدسه ، فقد كانت المرأة شابة فائقة الجمال لها شعر أشقر وعينان واسعتان زرقاوتان .

واستنتجت على الفور من ثيابها البسيطة المتقنة انها تنتمى الى الطبقة الراقية .

قالت فى صوت عذب جميل :

- مستر بوارو ... اننى أعانى مشاكل كبيرة وأكاد لا أصدق أنه قد يكون فى مقدورك مساعدتى . غير اننى سمعت عنك الكثير ولهذا قدمت اليك كملجأ أخير التمس منك أن تبذل المستحيل .

قال بوارو : - المستحيل ... هذا هو الذى يروق لى دائما ... أرجوك أن تستمرى يا آنسة .

ترددت زائرتنا الجميلة فقال بوارو :

- ولكن يجب أن تكونى صريحة والا تخفى عنى شيئا .

قالت الفتاة فجأة :

- اننى سأضع ثقتى فيك . هل سمعت عن الليدى ملليسنت كاسل فوجان ؟

رفعت عينى وقد ثار اهتمامى فجأة . ذلك ان خطوبة الليدى ملليسنت أعلنت للدوق اوف ساوشاير منذ أيام قلائل . والليدى ملليسنت كما أعرف هى الابنة الخامسة لأحد النبلاء الايرلنديين المعدمين فى حين كان الدوق اوف ساوشاير واحدا من أغنى شباب انجلترا .

واستطردت الفتاة تقول :

- أنا الليدى ملليسنت ، ولعلك قرأت اعلان خطوبتى . كان يجب أن أكون أسعد فتاة على وجه الأرض ، ولكننى شديدة القلق والانزعاج يا مستر بوارو ... فهناك رجل... رجل فظيع ... اسمه لافنجتون ... وهو ... لا أدرى كيف أقول ذلك ... هناك رسالة كتبتها ولم يكن عمرى عندئذ يتجاوز السادسة عشرة ... وهو ... انه ...

- رسالة كتبتها للمدعو لافنجتون ؟

- اوه ، كلا لم أكتبها له وانما لجندى شاب ... كنت أحبه كثيرا ، وقد مات فى الحرب .

قال بوارو فى رفق : - فهمت .

كانت رسالة سخيفة ... رسالة متهورة ولا شئ أكثر من ذلك حقا يا مستر بوارو ، ولكنها تحتوى لسوء الحظ على بعض عبارات يمكن تأويلها الى غير معناها الحقيقى .

- فهمت .. وهذه الرسالة فى حوذة مستر لافنجتون ؟

- نعم ، وهو يهددنى بارسالها الى الدوق ما لم ادفع له مبلغا ضخما أرانى عاجزة تماما عن تدبيره .

صحت : - تبا له من خنزير وقح ... أرجو معذرتك يا ليدى ملليسنت .

- أليس من الحكمة أن تعترفى بكل شئ لخطيبك ؟

- لا أجرؤ على ذلك يا مستر بوارو . ان الدوق رجل شديد الغيرة ومتشكك جدا ويميل الى تصديق أسوأ الأمور . سيكون من الأسهل أن أفسخ خطوبتى على الفور .

قال بوارو وقد ارتسمت على وجهه تعبيرات ذات دلالة خاصة :

- آه ... وماذا تريدين منى أن أفعل يا آنسة ؟

- خطر لى اننى قد أستطيع أن أطلب من مستر لافنجتون أن يأتى لمقابلتك . سأقول له اننى خولتك كل سلطة لكى تتفاوض معه نيابة عنى ... فربما تستطيع أن تخفض المبلغ الذى يطلبه .

- وكم يطلب ؟

- عشرين ألف جنيه ... وهذا مستحيل . بل اننى لا أظن اننى أستطيع أن أدبر ألف جنيه .

- لا شك فى انك تستطيعين اقتراض المبلغ بضمان زواجك المقبل . ولكن ... حسنا ... اننى أكره أن أراك تدفعين ... كلا . ان عبقرية هركيول بوارو ستقهر اعداءك. ارسلى الى هذا المدعو لافنجتون . هل تظنين انه يحمل الرسالة معه ؟

هزت الفتاة رأسها وقالت :

- لا أظن ذلك فهو حريص جدا .

- أظن أنه ليس هناك أى شك فى ان الرسالة معه حقا ؟

- انه عرضها على عندما ذهبت لمقابلته .

- هل ذهبت لمقابلته ؟ لم يكن ذلك عملا حريصا منك يا سيدتى .

- حقا ؟ ... كنت شديدة اليأس . وكنت أرجو أن أتمكن من أن ألين قلبه .

- آه ... أن أمثال لافنجتون فى هذا العالم لا تلين قلوبهم بالتوسلات ولا ريب انه اعتبرها كدليل على الأهمية التى تعلقينها على هذه الرسالة . أين يقيم هذا الرجل الكريم ؟

- فى بوينا فيستا بومبلدون ... ذهبت اليه عند هبوط الليل .

زمجر بوارو فى حين استطردت هى تقول :

- وقد انتهى بى الأمر الى أننى هددته بأننى سأذهب الى رجال البوليس واعترف لهم بكل شئ ، ولكنه راح يتهكم على فى خبث وقال " ولم لا يا عزيزتى الليدى ملليسنت ؟ أذهبى اليهم اذا شئت " .

تمتم بوارو : - نعم ... هذه القضية ليست قطعا من اختصاص البوليس .

وقالت الليدى : - وقد أردف قائلا : -

" ولكننى أعتقد انك ستلتزمين جادة العقل ... انظرى ... ها هى رسالتك ... فى هذا الصندوق السرى الصينى " .

وادنى الصندوق منى لكى أراه ، وحاولت أن أنتزعه منه ولكنه كان أسرع منى فقد طوى الرسالة وهو يبتسم ابتسامة بشعة ثم وضعها فى الصندوق الخشبى الصغير وقال انها فى أمان هنا . وانا أخفى هذا الصندوق فى مكان سرى لا يمكن أن تعرفيه أبدا وانتقلت عيناى الى الخزانة الصغيرة التى فى الحائط ولكنه هز رأسه وقال مزمجرا :

- ان لدى مخبأ أكثر أمانا ..اوه ، ما كان أبغضه ! هل تظن انك تستطيع

مساعدتى .

- ضعى ثقتك فى بابا بوارو . سوف اهتدى الى طريقة .

وشيع بوارو زائرته مجاملا حتى أسفل الدرج فى حين رحت أحدث نفسى وأقول انه لجميل ان يطمئنها بمثل هذه الثقة ، رغم ما خيل لى من اننا أمام معضلة عويصة وأطلعت بوارو على رأيى عندما عاد ولكنه هز رأسه وقد تجهمت أساريره وقال :

- نعم . ان الحل لا يبدو سهلا . ان مستر لافنجتون يملك المبادأة فى الوقت الحالى ولا أدرى كيف نستطيع أن نتغلب عليه .

وأقبل مستر لافنجتون للقائنا بعد ظهر ذلك اليوم فعلا . ولم تتعد الليدى ملليسنت الحقيقة عندما وصفته بأنه شخص فظيع بشع . وقد أحسست برجفة حقيقية وتمنيت لو أن أركله بطرف حذائى وألقى به من فوق السلم .

كان رجلا متبجحا لا يحتمل ولم يكف عن التهكم والسخرية على اقتراحات بوارو الرقيقة . واظهر بطريقة عامة أنه سيد الموقف ، ولم يسعنى الا أن أفكر فى أن بوارو لم يكن فى أحسن حالاته فقد بدا مرهقا مكدودا . وقال لافنجتون وهو يتناول قبعته :

- حسنا يا سادة . يبدو اننا لن نصل الى نتيجة فعالة . هاكما شروطى . سأمنح الليدى ملليسنت تخفيضا لأنها امرأة شابة جميلة . لنقل اذن ١٨ ألف جنيه . اننى مسافر الى باريس اليوم لعقد صفقة صغيرة وسأعود غدا . واذا لم يصلنى المبلغ حتى مساء يوم الثلاثاء فسأبعث بالرسالة الى الدوق . لا تقل لى أن الليدى ملليسنت لا تستطيع الحصول على هذا المبلغ فسيكون من دواعى سرور بعض أصدقائها أن يقرضها هذا المبلغ خاصة وان امرأة فى مثل جمالها لن تعدم وسيلة للحصول على ما تريد .

تقدمت خطوة الى الأمام ولكن لافنجتون كان قد اختفى . فصحت :

- يا له من وغد زنيم يجب ان نفعل شيئا . يبدو لى انك نائم تماما يا بوارو .

- ان لك قلبا كريما يا صديقى ولكن خلايا مخك فى حالة يرثى لها .. ليست بى

أية رغبة فى استعراض مقدرتى أمام لافنجتون ، فكلما أعتقد اننى جبان رعديد كلما كان هذا أفضل .

- لماذا ؟

قال بوارو فى تفكير :

- اليس من الغريب اننى كنت أفكر فى خرق القانون قبل قدوم الليدى ملليسنت بقليل !

هتفت أقول : - انك لن تتسلل الى بيته أثناء غيابه ؟

- انك تسرع فى الاستنتاج بطريقة غريبة يا هاستنجز .

- ولكن لنفرض أنه أخذ الرسالة معه .

هز بوارو رأسه وقال :- هذا أمر بعيد الاحتمال ، فمن الواضح ان لديه مخبأ خفيا يعتقد فى استحالة الوصول اليه .

- ومتى تنفذ ... ال ...

- مساء الغد . سنخرج من هنا فى نحو الساعة الحادية عشرة .

وفى الساعة المحددة كنت على أتم الاستعداد ، فقد ارتديت ثيابا داكنة ووضعت على رأسى قبعة رخوة وابتسم بوارو فى رفق وقال :

- أرى انك ارتديت ثياب العمل . هلم بنا نستقل المترو الى ويمبلدون .

- ألن نأخذ معنا شيئا ؟ ... أدوات لاغتصاب الباب مثلا ؟

- كلا يا عزيزى هاستنجز . ان هركيول بوارو لا يستخدم هذه الأساليب الوضيعة .

وعندما دخلنا حديقة بونيا فيستا كان الليل قد انتصف . وكان سادرا فى الظلام يخيم عليه السكون . ومشى بوارو على الفور الى نافذة خلف البيت ودفعها فانفتحت بدون أن يصدر منها صوت واشار الى أن ادخل .

تمتمت أقول وقد بدا لى الأمر غريبا :

– وكيف عرفت ان هذه النافذة مفتوحة ؟

– لأننى مهدت الطريق صباح اليوم .

– وكيف ذلك ؟

– اوه ، كان ذلك فى منتهى السهولة ، فقد تقدمت ومعى بطاقة رسمية من بطاقات المفتش جاب وأخرى تحمل اسما زائفا وقلت اننى موفد من ادارة سكوتلانديارد لوضع جهاز أمان ضد السرقة على النوافذ طبقا لتعليمات مستر لافنجتون . وقد استقبلنى البواب بحماس اذ يبدو أنه وقعت أخيرا محاولتان للسرقة ، ومن الواضح أن فكرتنا هذه قد طرأت قبل ذلك لبعض عملاء مستر لافنجتون . وان لم تسفر المحاولة عن ضياع شئ ذى قيمة . وقد فحصت جميع النوافذ وتدبرت الأمر ثم طلبت من البواب أن لا يلمس أى شئ قبل صباح الغد لأن النوافذ مزودة بتيار كهربائى شديد ثم انصرفت فى هدوء :

– انت مدهش حقا يا بوارو .

– ولكنه عمل صبيانى يا صديقى .. والآن ، هلم بنا الى العمل . ان الخدم ينامون فى الطابق الأخير وليست هناك أية مجازفة فى أن نوقظهم .

– أظن ان الخزانة الحديدية مدفونة فى مكان ما من الحائط .

– الخزانة الحديدية ؟ ... هراء يا صديقى . ليست هناك أية خزانة حديدية . ان مستر لافنجتون رجل ذكى . وسترى انه اهتدى الى مخبأ أكثر فعالية . ان الخزانة هى أول مكان يخطر للمرء أن يبحث فيه .

وعلى هذا بدأنا البحث فى عناية فائقة . ولكن بعد ساعات طويلة من التنقيب والتفتيش فى أرجاء البيت كنا ما نزال عند نقطة البداية . ورأيت بوادر الغضب تتجمع فى وجه بوارو وقال :

– آه . يا الهى ! ... لا يمكن أن يفشل هركيول بوارو ؟ ... كلا ... لا يمكن هذا

أبدا . لنخلد الى الهدوء والتفكير بروية ... لنستخدم خلايا مخنا كما يجب .

وفكر بضع لحظات وهو عابس الأسارير لفرط تركيزه ثم ومض فى عينيه ذلك البريق الأخضر الذى أعرفه تمام المعرفة وقال :

- ما أغبانى ! ... المطبخ !

صحت : - المطبخ ! ... ولكن هذا مستحيل ... والخدم ؟

- تماما . هذا ما يطرأ للناس ولهذا السبب بالذات فان المطبخ هو المكان الذى يجب أن نفحصه جيدا . انه مكتظ بالأدوات من كل نوع . هلم بنا الى المطبخ .

تبعته وأنا غير واثق تماما . ورأيته يدفع يده في صندوق الخبز ويشم الأوانى ويدخل رأسه فى فرن المطبخ . واستولى التعب وأنا انظر اليه وهو يفعل ذلك فعدت الى المكتب . كنت مقتنعا بأننا سنجد المخبأ المنشود هناك وهناك فقط . وبحثت فى عناية بالغة واذ رأيت أننا بلغنا الساعة الرابعة وان ضوء النهار لم يلبث أن يبزغ عدت الى المطبخ ثانية .

وما كانت أشد دهشتى وأنا أرى بوارو واقفا وسط كومة من الفحم يحاول أن يرفع أطراف سراويله . وقطب حاجبيه وقال :

- نعم يا صديقى . ليس من عادتى أن أهمل ثيابى ولكن ماذا تريد ؟

- مهما يكن فان لافنجتون لا يمكن أن يدفن الصندوق فى الفحم .

- اذا استخدمت عينيك جيدا فسترى اننى لا أهتم بالفحم .

ورأيت عندئذ بعضا من كتل الخشب الضخمة التى تستعمل للوقود مكدسة فوق رف خلف كومة الفحم . وقد أنزلها بوارو واحدة واحدة فى حذر ولم يلبث أن أطلق صيحة دهشة وقال :

- اعطنى مطواتك يا هاستنجز .

وأعطيته اياها فأدخل نصلها فى احدى الكتل الخشبية فانشطرت قسمين . كانت

الكتلة قد عولجت بمهارة واحدث بها تجويفا أخرج بوارو منه صندوقا صغيرا صيني الصنع .

صحت أقول : - مرحى !

- أخفض صوتك يا هاستنجز . تعال . هلم بنا قبل أن يطلع النهار .

ودس الصندوق في جيبه ثم وثب في خفة من فوق كومة الفحم ونفض بنطلونه بقدر ما استطاع . وبعد أن خرجنا من البيت كما دخلنا مضينا سراعا عائدين الى لندن .

صحت أقول : - يا له من مكان غريب ! كان في الامكان أن يستخدم أحد الخدم هذه الخشبة .

- في شهر يوليو يا هاستنجز ؟ ... ثم انها كانت أسفل الخشب كله . انه مكان جميل . آه ... ها هي ذي سيارة أجرة . هلم بنا الى البيت ... سأغتسل وأنام لأعوض ما فاتني .

***

نمت حتى وقت متأخر متأثرا بمغامرة الليلة السابقة وعندما ذهبت الى الصالون أخيرا كان الوقت ظهرا ، أدهشني ان أرى بوارو جالسا في مقعده والصندوق الصيني مفتوح بجواره وكان يقرأ في هدوء الرسالة التي أخرجها منه .

ابتسم لي ابتسامة رقيقة وهو يربت بأصبعه على الرسالة التي يمسكها في يده ثم قال :

- ان الليدي ملليسنت كانت على حق . ما كان الدوق ليصفح عن مثل هذه الرسالة. انها تضم أجرأ عبارات الحب التي قرأتها في حياتي .

قلت : - الواقع يا بوارو انه ما كان يحق لك أن تقرأ هذه الرسالة فهذا أمر من الأمور التي لا يجب الاتيان بها .

أجابني صديقي برباطة جأش :

- ولكن هركيول بوارو يأتى بها .

وأردفت : وثمة شئ آخر . أظن ان استخدامك لبطاقة جاب لم يكن لعبة شريفة .

- ولكننى لم أكن العب يا هاستنجز . اننى كنت أحاول حل قضية .

هززت كتفى وأنا أقول لنفسى أن هذه وجهة نظر .

قال بوارو : - اسمع وقع أقدام على السلم . لاريب انها الليدى ملليسنت .

دخلت زائرتنا الجميلة وعلى وجهها أمارات القلق لم تلبث أن تبدلت الى فرح كبير عندما رأت الرسالة والصندوق اللذين يمسكهما بوارو وصاحت :

- اوه ! ... مستر بوارو ! ... ما أروع هذا ؟ ... كيف تمكنت ؟

- بطريقة غير مشروعة تماما يا سيدتى الليدى . ولكن مستر لافنجتون لن يتقدم بأى شكوى . هذه هى رسالتك ، أليس كذلك ؟

ألقت على الرسالة نظرة سريعة ثم قالت :

- نعم . لا أدرى كيف أستطيع أن أشكرك . أنت رجل مدهش حقا . أين كان يخفيها .

أخبرها بوارو بما تريد فقالت :

- ما أشد ذكاءك !

وأخذت الصندوق الصغير من فوق المائدة وقالت :

- سأحتفظ به للذكرى .

- ولكننى كنت أرجو أن تسمحى لى بالاحتفاظ به يا سيدتى .. للذكرى كذلك .

- أرجو أن أرسل اليك صندوقا غيره أفضل منه بكثير فى يوم زواجى . اننى لست جاحدة أو ناكرة للجميل يا مستر بوارو .

- ان سرورى بأننى أسديت اليك خدمة لأكبر بكثير من شيك تقدمينه لى . ولهذا أرجو أن تسمحى لى بالاحتفاظ بهذا الصندوق .

قالت ضاحكة : - اوه كلا يا مستر بوارو ... يجب أن آخذه حقا .

ومدت يدها ولكن بوارو منعها قائلا وقد تغير صوته :

- لا أعتقد ذلك .

قالت وقد بدا انه شاب صوتها رنة من القسوة فجأة :

- ماذا تعنى ؟

- اسمحى لى أن أفرغه مما فيه أولا ... سترين ان به تجويفا خاصا يشطره الى قسمين ... فى القسم العلوى الرسالة الباعثة على الشبهة وفى القسم السفلى ...

واتى بحركة سريعة ثم فتح يده فاذا فى كفه أربعة أحجار براقة ولؤلؤتان كبيرتان فى بياض اللبن .

وتمتم : أظنها المجوهرات المسروقة أخيرا من شارع بوند . سيؤكد لنا جاب ذلك .

ولدهشتى الكبيرة خرج جاب بنفسه من غرفة بوارو وقال هذا الأخير يخاطب الليدى ملليسنت فى لهجة رقيقة :

- أعتقد أنه صديق قديم لك .

صاحت الليدى ملليسنت وقد تغيرت لهجتها :

- يا الهى ... لقد افتضح أمرى ... ايها المخبر القذر !

ونظرت الى بوارو فى خوف لا يخلو من الاعجاب ، فى حين قال جاب :

- حسنا يا جيرتى يا صغيرتى ، انتهت اللعبة . ومع ذلك فقد سبق أن التقينا منذ وقت ليس بعيدا . لقد القينا القبض على صديقك كذلك ، ذلك الذى أقبل هنا أمس منتحلا اسم لافنجتون . أما هذا الأخير وهو ينتحل أيضا اسم كروكر واسم ريد فاننى اتساءل من منكما الذى طعنه فى هولندا . كنتما تظنان أن المجوهرات معه ولكنها لم تكن كذلك ... انه مكر عليكما طبعا ... وذلك بأن أخفاها فى بيته . وقد أرسلتما برجلين للبحث عنها ثم لجأت بعد ذلك الى مستر بوارو لكى يقوم لك بذلك وشاءت

الصدفة أن يعثر عليها .

أجابت الليدى ملليسنت مذعورة :

- انك تحب القاء المحاضرات ... حسنا ، سأتبعك فى هدوء الآن فلا يمكن أن يقال عنى اننى لست سيدة مهذبة . طاب يومكما أيها السيدان .

قال بوارو وانا لا أزال تحت وقع الدهشة بحيث لم أستطع أن أنطق بكلمة .

- لم يكن حذاؤها لائقا بها . اننى قمت بدراسة عادات مواطنيك الانجليز . يا هاستنجز أن سيدة تنتمى الى الطبقة الراقية تحرص دائما على التوفيق فى اختيار أحذيتها . يمكنها أن ترتدى ما تشاء من ثياب ولكنها تحرص دائما على أن يكون حذاؤها مناسبا . ولكن الليدى ملليسنت كانت على العكس من ذلك ترتدى ثيابا أنيقة غالية وحذاء رخيصا . وكان هناك احتمال ضئيل فى أن أعرف أنا أو انت الليدى ملليسنت الحقيقية ، فقد أقبلت لقضاء أيام قلائل فى لندن ، وهذه الفتاة تشبهها بعض الشبه . وكما قلت كان الحذاء هو الذى أثار شكوكى فى بادئ الأمر ثم ايدت قصتها هذه الشكوك ... وحجابها ...فكل هذا كان يبدو غريبا بعض الشئ ، أليس كذلك ؟ . ان الصندوق الصينى والرسالة الزائفة المثيرة للشبهة فى القسم العلوى منه أمر كان معروفا للعصابة ، ولكن كتلة الخشب كانت فكرة خاصة بالفقيد مستر لافنجتون . وثمة شئ آخر يا هاستنجز هو أن لا تبدأ بأن تثير شجونى كما فعلت بالأمس عندما ادعيت اننى لست مشهورا فى أوساط الجريمة . وهأنت ذا ترى أن الأمر بلغ بهم الى حد استخدامى للاستعانة بى لقضاء أغراضهم .

***

كوميديا الفن

كان اشتراك صديقى هركيول بوارو رئيس البوليس البلجيكى السابق فى الكشف عن خبايا جريمة قصر ستايلس صدفة واتفاقا . وكان للنجاح الباهر الذى صادفه فيها سببا فى شهرته فكرس نفسه لدراسة القضايا الجنائية والوقوف على غوامضها .. وعندما سرحت من الجيش بعد اصابتى فى معركة السوم ذهبت للاقامة معه فى لندن . ولما كنت أعرف أكثر القضايا التى اشترك فيها حق المعرفة فقد عرضوا على أن أختار بعضا منها وأكثرها أهمية وأسجلها فى كتاب . وارى أن أروع ما أبدأ به هذه السلسلة هو قضية معقدة أحدثت ضجة ودويا كبيرين فى حينها ، وأعنى بها قضية حفلة النصر الراقصة .

وليس هناك ما يميز هذه القضية عن غيرها من القضايا التى اهتم بها هركيول بوارو ، بل لعلها أقلها أهمية ولكن جوانبها الهامة والشخصيات التى دارت حولها والدعاية الضخمة التى اولتها الصحف لها ، كل هذا ساهم فى ان يجعل منها قضية مشهورة وكان اعتقادى . منذ وقت طويل ، ان من العدل أن اكشف للجمهور عن الدور الحازم لذى لعبه بوارو فى فك طلاسمها .

فى صباح يوم جميل من أيام الربيع كنا نجلس فى مسكن بوارو ، وكان صديقى القصير شديد الاناقة كعادته ، وقد احنى رأسه قليلا وهو يعالج شاربيه ويصقلهما بدهان جديد . كان دائم العناية بنفسه ، شديد الحرص على اناقته حرصه على النظام والتخطيط . وكانت جريدة الديلى نيوزموجر التى كنت أقرأها قد سقطت منى على الأرض . وكنت غارقا فى تأملاتى عندما انتشلنى منها صوت بوارو قائلا :

- فيم تفكر هذا التفكير العميق يا صديقى .

أجبت : - الواقع اننى أفكر فى قضية حفلة النصر الراقصة ، وهى قضية مثيرة أسهبت الجرائد فى الحديث عنها .

- حقا ؟

عدت أقول فى حماس : - وكلما قرأتها كلما غابت عنى خفاياها . فمن الذى قتل اللورد كرونشو وهل كان موت كوكو كورتناس فى نفس تلك الليلة مجرد مصادفة ؟ أم تراها راحت ضحية حادث وقع قضاء وقدرا ؟ أم تراها ازدردت كمية كبيرة من الكوكايين قضت عليها .

وأمسكت لحظة ثم أردفت أقول فى لهجة مسرحية :

- تلك هى الاسئلة التى كنت القيها على نفسى .

وما كانت أشد دهشتى عندما رأيت بوارو يتأملنى خلال المرآة ثم يقول :

- يقينا ... هذا الدهان الجديد مدهش للشارب . ثم التقت عينانا فأردف يقول على الفور :

- وهل وجدت الرد على هذه الأسئلة ؟

لم يسعفنى الوقت لكى أرد فقد فتح الباب وأعلنت صاحبة المسكن عن قدوم المفتش جاب وصاح بوارو :

- عزيزى جاب .. ما الذى أتى بك ؟

قال جاب وهو يحيينى ويجلس :

- اذا أردت الحق يا مستر بوارو فاننى مهتم بقضية تبدو لى من اختصاصك وأتيت أسألك اذا كنت تقبل أن تدلى فيها بدلوك .

كان بوارو يقدر كفاءة جاب وان كان يعتب عليه افتقاره الى النظام . أما أنا فمن رأيى أن مقدرة هذا المفتش الكبيرة هى فى استطاعته الحصول على ما يريد من خدمات

متظاهرا بأنه هو الذى يقدمها .

قال جاب فى صوت رقيق جذاب :

- انها تلك الحفلة الراقصة التى أقيمت بمناسبة النصر . اننى واثق انك ستحب أن تلقى نظرة على هذه القضية .

رمانى بوارو بنظرة ذات مغزى وهو يقول :

- سيروق ذلك لصديقى هاستنجز على كل حال ، فقد حدثنى عنها الان بالذات ، أليس كذلك يا صديقى ؟

خاطبنى جاب فى تسامح قائلا :

- حسنا يا مستر هاستنجز ، سوف تشترك معنا أنت أيضا فى هذه القضية . ولك أن تزهو وتفخر بأنك أول من يعرف حقائقها وتفاصيلها . ولكن لننتقل الى الوقائع . أظن أنك تعرف العناصر الأساسية يا مستر بوارو ؟

- لا أعرف أكثر مما ذكرته الجرائد وأنت تعلم أن خيال المحررين يشط أحيانا . أذكر لى القصة كلها .

عقد جاب ساقيه فى ارتياح وبدأ يقول :

- أقيمت حفلة النصر الراقصة الكبرى يوم الثلاثاء الماضى كما يعرف الجميع ، وفى أيامنا هذه نجدهم يصفون أقل الحفلات الراقصة بأنها حفلة كبرى ، ولكن الحفلة التى نحن بصددها تستحق هذه الصفة حقا ، فقد دارت فى كولوسوس هول وكانت لندن كلها حاضرة وخاصة اللورد كرونشو الشاب ومدعووه .

- ومن هو اللورد كرونشو هذا ؟

- هو خامس لورد بهذا الاسم ، وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، ثرى وأعزب يحب دنيا المسرح كثيرا . وقد دار الهمس بأنه خطيب مس كورتناس الممثلة بمسرح البانى والمشهورة باسم " كوكو " . وهى امرأة شابة على جانب كبير من الجمال .

- حسنا .. استمر .

- كانت جماعة اللورد كرونشو تتكون من ستة أشخاص .. هو نفسه ثم عمه النبيل أوستيس بلتين وأرملة أمريكية حسناء تدعى مسز مالابى ، وممثل شاب يدعى كريس دانيدسون وزوجته ، وأخيرا مس كورتناس الممثلة المعروفة . وكانت الحفلة الراقصة من الحفلات التنكرية كما تعرف ، وقد تنكر كرونشو وأصدقاؤه وبدا كل منهم فى شخصية من شخصيات الكوميديا الايطالية القديمة ، وأظنك تعرف ما أعنيه .

قال بوارو : - نعم .. كوميديا الفن ..

- وقد نقلوا الثياب التنكرية عن عرائس من الخزف موجودة فى مجموعة تحف مستر أوستيس بتين وتمثل الشخصيات الستة للكوميديا المذكورة .. وتنكر اللورد كرونشو فى شخصية المهرج وبليتن فى شخصية بوليشينيل أما مسز مالابى فظهرت فى شخصية بولشينيلا ، وظهر آل دافيدسون فى شخصيتى بييرو وبييريت ، وتنكرت مس كورتناى فى شخصية كولومبين . ومنذ بداية الحفلة كان ظاهرا أن هناك شيئا لا يجرى على ما يرام فقد كان اللورد كرونشو عابس الأسارير وكان يسلك سلوكا غريبا . وعندما انضمت الجماعة لتناول طعام العشاء فى غرفة خاصة كان المضيف قد حجزها لهذا الغرض لوحظ ان هذا الأخير ومس كورتناى لم يتبادلا كلمة واحدة .. وكان من الواضح أن مس كورتناى قد بكت وبدت فى أقصى حالات الانفعال . وكان الجو متوترا أثناء تناول الطعام وعندما غادروا الغرفة أخيرا تحولت كوكو الى كريس دافيد سون وطلبت منه بصوت سمعه الجميع أن يمضى بها الى بيتها لأنها سئمت هذه الحفلة .. وتردد الممثل الشاب ونظر الى اللورد كرونشو وأخيرا طلب منهما أن يعودا الى الصالون .

ولكن مجهوداته فى سبيل الوفاق راحت عبثا فاستدعى سيارة أجرة ورافق مس كورتناى حتى بيتها ، وكانت لا تزال تبكى ، وعلى الرغم من انها كانت شديدة

الانفعال فانها لم تفصح عن شئ لزميلها ، واكتفت بأن قالت أن كرونشو العجوز سوف يدفع لها الثمن .

كانت تلك العبارة هى الوحيدة التى حملتنا على الظن بأن موتها لم يكن قضاء وقدرا ، وان كان ذلك دليلا واهيا بالطبع . وعندما أفلح دافيدسون فى تهدئتها أخيرا كان الوقت قد تأخر لكى يعود الى كولوسس هول فعاد الى بيته فى شلى . ووصلت زوجته بعده بقليل واخبرته بنبأ المأساة المروعة التى أدمت الحفلة بعد انصرافه .

" فيبدو ان اللورد كرونشو كان كلما تقدم الوقت يزداد كآبة وتجهما بالراقصين والراقصات . كان يتجنب أصدقاءه ولم يروه الا نادرا بقية الحفلة ، وفى نحو الساعة الواحدة ، أى قبل الرقصة الأخيرة بالذات ، وهو الوقت الذى يجب أن يخلع فيه كل من الراقصين والراقصات قناعه ، رآه احد أصدقائه ويدعى الميجور ديجبى ، وكان يعرف الثوب الذى يتنكر فيه ، رآه يقف فى احدى المقصورات ينظر الى المدعوين فصاح به :

– هالو كرونشو ! .. ماذا تفعل وحدك كالبومة المحنطة ... اهبط وانضم الينا .

' وأجابه كرونشو : – حسنا . ولكن انتظرنى مكانك والا فلن اهتدى اليك وسط هذا الحشد .

' واستدار وغادر المقصورة وهو ينطق بهذه الكلمات . وانتظر الميجور ديجبى ، وكانت مسز دافيدسون برفقته . ومرت الدقائق دون أن يظهر اللورد كرونشو . وفرغ صبر الميجور أخيرا فقال :

– هل يظن اننا سننتظره طوال الليل ؟

وفى هذه اللحظة انضمت مسز مالابى اليهما فأطلعاها على الموقف ، وقالت الأرملة الجميلة :

– ان كرونشو المسكين كالروح الهائمة الليلة . هلموا بنا نبحث عنه .

وانطلقوا يبحثون عنه ولكنهم لم يقفوا له على أثر . وأخيرا قالت الليدى مالابى

أنه ربما يكون فى الغرفة التى تناولوا فيها الطعام منذ ساعة فمضوا اليها وراعهم المنظر الذى طالعهم عندئذ فقد رأوا المهرج طريحا فوق الأرض وفى صدره سكين المائدة."

أمسك جاب ورفع بوارو رأسه وقال فى لهجة الخبير المعتد بنفسه :

- قضية جميلة ، وليس هناك أى دليل طبعا . بل لا أرى كيف يكون هناك أى دليل .

وعاد المفتش يقول بعد لحظة :

- حسنا . انك تعرف الباقى . كانت المأساة مزدوجة ، ففى صباح اليوم التالى صدرت الجرائد وفى صفحاتها الأولى عناوين ضخمة تقول أن مس كورتناى الممثلة المعروفة وجدت ميتة فى فراشها وان سبب موتها أنها تناولت كمية كبيرة من الكوكايين، فهل كانت الوفاة قضاء وقدرا أم أنها كانت انتحارا ؟ وباستجواب خادمتها اعترفت بأن مس كورتناى كانت تدمن تعاطى ذلك المخدر وانتهى المحقق الى اعتبار الوفاة قضاء وقدرا . ولكن لا يمكننا مع ذلك استبعاد احتمال كون الأمر انتحارا

وقد جاء موتها أمرا محزنا لأنه منعنا من معرفة السبب فى الشجار الذى جرى فى الليلة السابقة . وبهذه المناسبة ، عثرنا مع اللورد كرونشو على علبة صغيرة من الخزف نقش على غطائها من الداخل اسم كوكو بأحرف من الماس . وكانت العلبة نفسها مملوءة الى النصف بمسحوق الكوكايين . وقد اعترفت خادمة مس كورتناى بأن العلبة ملك لسيدتها وأنها لم تكن تفارقها أبدا . لأنها تحتوى على زادها من الكوكايين ، وهو زاد أصبحت لا تستطيع الاستغناء عنه .

- وهل كان كرونشو مدمنا ؟

- على العكس . كانت له آراء متشددة فى المخدرات والمدمنين .

هز بوارو رأسه مفكرا وقال :

- ولكن ما دامت العلبة كانت معه فهذا يدل على انه لم يكن يجهل ان مس كورتناى كانت تتعاطى المخدرات ...هذا أمر له معناه ، أليس كذلك يا عزيزى جاب ؟

قال جاب فى غموض : - آه !

ابتسمت فى حين عاد المفتش يقول :

- حسنا ... هذه هى القضية ، فما رأيك .

- ألم تجد أى أثر آخر لم تذكره لنا ؟

- بلى ... هذا .

وأخرج من جيبه شيئا صغيرا ناوله لبوارو . كان عبارة عن شرابة من الحرير الأخضر الزمردى ، وكانت بعض خيوطها مدلاة كما لو أن بعضهم قد انتزعها فى عنف .وقال :

- وجدناها فى يد القتيل ، وكان يطبق عليها بين أصابعه .

- أعاد بوارو الشرابة اليه وقال :

- هل كان للورد كرونشو أعداء ؟

- لم يكن له أى اعداء بقدر ما نعلم . كان يبدو محبوبا جدا .

- ومن الذى يستفيد من موته ؟

- عمه ، النبيل اوستيس بلتين ، فهو يرث اللقب والأملاك . وهناك حقيقة أو حقيقتان تجعلنا نشتبه فى أمره ، فان شهودا كثيرين يقولون أنهم سمعوا فى الغرفة الصغيرة التى تناولوا فيها العشاء مشادة عنيفة كان مستر بلتين أحد أطرافها ، ولابد انك ترى معنى هذا . فالسكين التى أخذها القاتل من فوق المائدة تدل على أن الجريمة ارتكبت فى ثورة غضب وأثناء مشاجرة .

- وماذا يقول مستر بلتين .

- أن أحد الخدم ذكر انه كان ثملا وانه عنفه . ثم أن الساعة كانت عندئذ أقرب الى الواحدة صباحا منها الى الواحدة والنصف . وكما ترى فان شهادة الكابتن ديجب تثبت

ساعة الجريمة بالتحديد ، فلم تكن قد مضت أكثر من عشر دقائق على اللحظة التى تحدث فيها مع كرونشو واللحظة التى اكتشفت فيها جثة هذا الأخير .

- على كل حال فاننى أعتقد أن مستر بلتين ، وهو متنكر فى شخصية برليشينيل ، كان يحمل حدبتين ، واحدة من الأمام والأخرى من الخلف .

قال جاب وهو ينظر الى بوارو فى فضول :

- الحق اننى لا أعرف تفاصيل الثياب التنكرية ولا أرى لذلك اية أهمية .

- حقا ؟

وابتسم بوارو ابتسامة بها ظل من السخرية واستطرد يقول فى رفق وعيناه تبرقان ذلك البريق الأخضر الذى أعرفه جيدا :

- توجد ستارة فى الغرفة التى تناولوا الطعام فيها طبعا ؟

- نعم ، ولكن ...

- ويوجد خلف هذه الستارة مكان يكفى لاختفاء رجل فيه ؟

- نعم . هناك خلوة صغيرة . ولكن كيف عرفت ذلك ؟ ... انك لم تذهب الى ذلك المكان يا مستر بوارو ؟

- كلا يا عزيزى جاب . اننى رأيت هذه الستارة فى ذهنى ، فان المأساة غير معقولة ويجب أن يكون الأمر معقولا دائما . ولكن ألم يأتوا بطبيب ؟

- جاءوا به فورا طبعا . ولكن لم تكن هناك أية فائدة ، فقد كانت الوفاة فورية .

هز بوارو رأسه فى شئ من فروغ الصبر وقال :

- نعم . نعم . اننى أفهم . هل أدلى الطبيب بشهادته أثناء التحقيق ؟

- طبعا .

- هل تكلم عن أعراض غريبة ؟ ... ألم يكن هناك شئ فى مظهر الجثة ... شئ بدا له غير طبيعى .

حدق جاب فى الرجل القصير وقال :

– لا أدرى الى أى شئ تهدف يا مستر بوارو ، ولكن الواقع انه لاحظ تيبسا وتوترا فى الأطراف لم يفهم سببه .

قال بوارو : – آه ... هذا أمر يدعو الى التفكير أليس كذلك ؟

ولكن بدا لى واضحا ان هذا الأمر لم يدع جاب للتفكير اذ قال :

– اذا كنت تشير الى سم ، فمن الذى يدس السم لرجل ثم يقتله بالسكين بعد ذلك بحق الشيطان ؟

قال بوارو فى هدوء : – هذا صحيح ... انه لأمر مضحك .

– هل هناك شئ تحب أن تراه بنفسك يا سيدى ؟ ... اذا أردت أن تفحص الغرفة التى اكتشفت فيها الجثة ..

هز بوارو كتفيه وقال : – ابدا ... انك ذكرت لى الشئ الوحيد الذى يهمنى ... أعنى رأى اللورد كرونشو فى المخدرات والمدخنين .

– أليس هناك شئ تريد أن تراه حقا ؟

– بلى .

– وما هو ؟

– العرائس الخزفية التى أخذت عنها الثياب التنكرية .

اتسعت عينا جاب دهشة وقال :

– حسنا . انك رجل غريب الأطوار .

– هل يمكنك أن تدبر ذلك ؟

– تستطيع أن تأتى الآن فورا الى ميدان برلكى ، فان مستر بلتين ... بل ينبغى أن أقول الآن فخامة اللورد ... لن يعترض على ذلك .

* * *

انتقلنا على الفور فى سيارة أجرة . ولم يكن اللورد كرونشو الجديد موجودا فى بيته ، ولكن بناء على طلب جاب مضوا بنا الى غرفة الخزف التى كانت تضم مجموعته من المجوهرات والتحف . ونظر جاب حوله كالتائه وقال :

- لا أرى كيف ستهتدى الى ما تبحث عنه يا مستر بوارو .

ولكن بوارو كان قد جر مقعدا أمام الموقد ووقف فوقه فى خفة ونشاط ، وعلى رف صغير فوق المرآة كانت هناك ستة تماثيل صغيرة من الخزف فحصها بوارو فى عناية مبديا بعض الملاحظات .

- ها هى التماثيل الستة التى نقلت عن كوميديا الفن الايطالية ..ثلاثة ازواج .. المهرج وصاحبته كولوميت وبييرو وصاحبته بييريت ما ازهى هذا اللون الأخضر والابيض - وبولشينيل وصاحبته بولشينيللا باللون البنفسجى والاصفر ... ان ثوب بولشينيللا معقد ، بحدبتيه وكشكشته والدانتيلا التى يزدان بها وقبعته . نعم . انه معقد جدا كما ظننت .

وأعاد التماثيل الصغيرة فى هدوء ووثب الى الأرض .

بدا جاب غير راض تماما ، ولكن لم يبد على بوارو انه على استعداد لأن يفسر له أى شئ . واذ رأى جاب ذلك لم يسعه الا السكوت على مضض . وفيما نحن نتأهب للانصراف أقبل صاحب البيت . وقام جاب بواجب التعارف .

كان الفيكونت كرونشو السادس رجلا فى الخمسين من عمره ، حلو الطباع وسيم الوجه تدل تقاطيعه على حبه للملذات . كان من الواضح انه رجل ماكر وقد استقبلنا فى رقة وقال انه يعرف بالسماع مقدرة بوارو ووضع نفسه تحت تصرفنا وقال :

- اننى اعلم أن البوليس يبذل كل جهده . ولكننى أخشى مع ذلك أن يبقى سر مقتل ابن أخى مستغلقا الى الأبد فان الجريمة تبدو غامضة لا حل لها .

نظر بوارو اليه مدققا فى حدة وقال :

- هل تعرف لابن أخيك أعداء ؟

- ليس له عدو واحد وأنا واثق من ذلك .

وأمسك لحظة ثم استطرد :

- هل هناك اسئلة أخرى تريد القاءها ؟

قال بوارو فى هدوء :

- سؤال واحد ... هل نقلتم الثياب طبقا للتماثيل تماما ؟

- بأدق ما فيها من تفاصيل .

- شكرا يا سيدى . هذا هو كل ما أردت معرفته . طاب يومك .

وقال جاب ونحن نهبط الى الشارع :

- يجب أن أعود الى سكوتلانديارد الآن .

- حسنا . لن احتجزك ... هناك شئ آخر يجب أن اهتم به ثم ...

- نعم ؟

- ... ثم أفرغ من القضية .

- ماذا تقول ؟ ... هل تمزح ؟ ... هل تعرف من الذى قتل اللورد كرونشو ؟

- تماما .

- من ... أهو اوستيس بلتين .

- آه يا صديقى .. انك تعرف نقطة الضعف فى ، فاننى أحب أن احتفظ بجميع الخيوط فى يدى حتى آخر لحظة . ولكن لا تراع . سأذكر لك كل شئ فى حينه . اننى انوى طبعا أن أترك لك الفضل كله شريطة أن تدعنى أفرغ منها بطريقتى الخاصة .

قال جاب : - يبدو لى ذلك أمرا لا غبار عليه ، هذا اذا فرغت منها أبدا . ولكنك مستغلق كالبيضة تماما يا مستر بوارو (وهنا ابتسم بوارو) . حسنا الى الملتقى . اننى عائد الى سكوتلانديارد ..

وانصرف فى خطوات واسعة فى حين استدعى بوارو سيارة أجرة وسألته فى فضول كبير :

- اين تذهب الآن .

- الى شلى ... لزيارة آل دافيدسون .

وقلت اسأله بعد أن أعطى العنوان للسائق :

- ما رأيك فى اللورد كرونشو الجديد ؟

ولكنه أجابنى بسؤال آخر قائلا :

- ما رأيك أنت فيه يا هاستنجز ؟

- اننى ارتاب فى أمره كثيرا .

- هل تظن انه العم الشرير الذى يأتى ذكره فى الروايات كثيرا ؟

- وأنت ؟

قال بوارو فى تحفظ :

- أنا ؟ ... اننى وجدته رقيقا جدا فى معاملته لنا .

- لاريب أن لهذا اسبابه .

نظر بوارو الى وهز رأسه فى حزن وتمتم ببضع كلمات بدت كما لو كان يقول : -

" لا يوجد تخطيط اطلاقا " .

***

كان مستر دافيدسون وزوجته يقيمان فى الطابق الثالث من عمارة لا بأس بها ، وكان كريس دافيدسون قد خرج أما مسز دافيدسون فكانت موجودة . ودخلنا فى غرفة كبيرة منخفضة السقف بها سجاد شرقى بعيد عن الذوق السليم ، وكان جو الغرفة مثقلا برائحة البخور الخانقة . وجاءت مسز دافيدسون لاستقبالنا على الفور . كانت امرأة قصيرة شقراء تبدو هشة لولا ذلك البريق الحذر الذى يلمع فى عينيها الزرقاوين

الخادمتين .

وذكر لها بوارو دورنا فى القضية فهزت رأسها فى أسى وقالت :

- مسكين كرونس ... ومسكينة كوكو .. كنا نحب كوكو كثيرا ، أنا وزوجى ، وقد أحزننا موتها كثيرا . ماذا تريد أن تعرف ؟ هل يجب أن نعود إلى أحداث تلك الليلة الفظيعة حقا ؟

- أوه ، تأكدى ياسيدتى اننى لن أزعجك أبدا .. ان المفتش جاب أطلعنى على كل ماأريد معرفته ، ولكننى لاأريد إلا أن أرى الثوب الذى كنت ترتدينه فى الحفلة .

بدت الدهشة على السيدة واستطرد بوارو يقول فى رقة واصرار :

- صدقينى ياسيدتى .. اننى أعمل طبقا للنظام المتبع فى بلادى ، فنحن هناك نعيد تمثيل الجريمة ، ومن المحتمل أن أدبر عرضا مسرحيا ، لتمثيل الأحداث . أنك تدركين أهمية الثياب فى هذه الحالة .

بدت أمارات الحيرة واضحة على مسز دافيدسون وقالت :

- اننى سمعت طبعا عن إعادة تمثيل الجريمة ، ولكننى لم أكن أعرف أنك دقيق فى التفاصيل إلى هذا الحد .. سآتيك بثوبى حالا .

وغادرت الغرفة ولم تلبث أن عادت ومعها ثوب رقيق من الساتان الأبيض والأخضر وأخذه بوارو وبسطه وفحصه ثم اعاده إليها وهو يقول :

- شكرا لك ياسيدتى . أرى انك فقدت لسوء الحظ ، إحدى شراباتك الخضراء ، تلك التى كان يجب أن تكون على هذا الكتف .

- نعم . انها انتزعت أثناء الحفلة وقد ألتقطتها وأعطيتها للورد كرونشو لكى يحتفظ لى بها معه .

- هل كان ذلك بعد العشاء .

- نعم .

- قبيل ارتكاب الجريمة بقليل من غير شك ؟

برق في عيني مسز دافيدسون الشاحبتين وميض القلق وأسرعت تقول :

- أوه ، كلا . بل قبلها بوقت طويل ، بعد العشاء على الفور .

- آه ، حسنا ، انني فرغت . لن أزعجك أكثر من ذلك . طاب مساؤك ياسيدتي .

قلت ونحن نغادر البيت :

- ها قد جلونا سر الشرابة .

- انني أتساءل ؟

- ماذا تعني ؟

- ألم ترني وأنا أفحص الثوب ياهاستنجز ؟

- طبعا .

- حسنا . ان الشرابة الناقصة لم تنتزع كما قالت السيدة وإنما قطعت قطعا .. قطعت بمقص ياصديقي ، فقد كانت الخيوط متساوية وواضحة .

- ياالهي ! .. ان الأمر يزداد تعقيدا .

أجاب بوارو في هدوء :

- على العكس .. انه يزداد وضوحا .

صحت :

- بوارو . اني سأقتلك ذات يوم .. ان طريقتك في اعتبار كل شيء سهلا جدا مثيرة للأعصاب إلى حد كبير .

- ولكن ألا يبدو كل شيء بسيطا جدا عندما أفسره ؟

- هذا مايثيرني ويزعجني بالذات .. فانني أشعر عندئذ بأنه كان يجب أن اهتدي إلى الحل بنفسي .

- وفي مقدورك أن تفعل ذلك ياهاستنجز ... تستطيع ذلك إذا رتبت أفكارك كما

يجب .. ولكنك لن تستطيع طبعا بدون نظام أو ترتيب .

وانفقته على الفور ، لأننى كنت أعرف ذلاقته عندما ينطلق فى موضوعه المفضل ، وقلت :

- نعم .. نعم .. والآن ماذا نفعل ؟ ... هل سنعيد تمثيل وقوع الجريمة حقا ؟

- كلا بالطبع . لنقل أن المأساة قد انتهت واننى أنوى أن أضيف إليها مشهدا تهريجيا .. كنوع من الخاتمة .

***

اختار بوارو يوم الثلاثاء التالى لتقديم مسرحيته الغامضة ، وقد اثارت استعداداته حيرتى تماما ، فقد جاء بشاشة كبيرة بيضاء أقام على يمينها ويسارها ستائر سميكة وثبت الجميع فى ركن من الغرفة . وأقبل رجل يحمل بعض الأدوات الكهربائية تبعته جماعة من الممثلين اختفوا كلهم فى غرفة بوارو التى تحولت إلى غرفة للفنانين مؤقتا .

وقبل الساعة الثامنة بقليل أقبل جاب ، ولم يكن معتدل المزاج . وأدركت أنه لايحبذ خطة بوارو ... وقال :

- أن خططه كلها مثيرة ولكن لاضرر منها . ويمكن القول بأنه يوفر علينا الكثير من العمل . أنه أبدى ذكاء كبيرا فى هذه القضية . كنت سأصل إلى نفس النتيجة طبعا (وهنا أحسست أن جاب يبالغ بعض الشىء) ولكننى وعدته أن أدعه يعمل وفقا لخطته . آه ... هاهم أصحابنا .

كان فخامة اللورد أول من أقبل وتبعته مسز مالابى ، ولم أكن رأيتها قبل ذلك . كانت سمراء جميلة تبدو عصبية بعض الشىء . وأقبل بعدها مستر دافيدسون وزوجته. وكانت هذه أول مرة أرى فيها كريس دافيدسون . كان شابا وسيما يلبس ثيابا زاهية ، طويل القامة ، اسمر البشرة له هيئة الممثلين المحترفين .

وكان بوارو قد وضع المقاعد أمام الشاشة التى سلطت عليها الأنوار الساطعة .

وأطفأ صديقى الأنوار الأخرى بحيث لم يبق مضيئا فى الغرفة سوى الشاشة أما باقى الغرفة فكان يسوده الظلام . وارتفع صوت بوارو يقول :

– سيداتى ، سادتى .. اسمحوا لى أن أوضح لكم ماسوف يدور الآن . سيظهر على هذه الشاشة ستة أشخاص تباعا . وهم أشخاص مألوفون لكم .. بييرو وبييريت وبوليشينيل المضحك وبولسينيللا الأنيقة وكولومبين الجميلة الفاتنة وأخيرا المهرج ، ذلك العفريت الشيطان .

ويدأ العرض بعد هذا التوضيح . ووثب الأشخاص الستة المذكورون أمام الستارة ووقف كل منهم لحظة ثم اختفى .

وعادت الأنوار تتبعها تنهيدة عامة من الارتياح . أحس كل منهم بالانفعال وكأنه يتوقع حدوث شىء مجهول . وأحسست أن العرض فشل ولم يؤد الغرض الذى كان بوارو ينتظره . وإذا كان القاتل موجودا بيننا وإذا كان بوارو قد توقع أن يراه وقد انهار لمجرد ظهور شخص مألوف أمام الشاشة فإن ذلك لم يحدث وأن الخدعة فشلت تماما .

ومع ذلك فإن بوارو لم يبد عليه أنه غلب على أمره وإنما تقدم مبسوط الأسارير وقال :

– والآن هل تتكرموا أيها السادة فيتقول لى كل منكم مارآه على حدة . هل لك أن تبدأ ياصاحب الفخامة ؟

بدا الرجل مشدوها قليلا وقال :

– اننى لاأفهم تماما .

– قل لى مارأيت ، لاأكثر .

– اننى حسنا . سأقول أننا رأينا ستة أشخاص يمرون خلف الشاشة ، وهم يرتدون ثياب كوميديا الفن القديمة .. تماما كما فعلنا نحن فى الليلة الماضية .

قال بوارو :

– لاتتكلم عن الليلة الماضية ياسيدى . كان الجزء الأول مع ردك هو الذى أردت أن

أسمعه . هل تشاركين اللورد ياسيدتى ؟

وكان الخطاب موجها إلى مسز مالابى فأسرعت تقول :

- اننى .. آه .. نعم ، طبعا .

- هل رأيت ستة أشخاص يرتدون ثياب كوميديا الفن ؟

- نعم .

- وأنت يامستر دافيدسون ؟

- نعم .

- وأنت ياسيدتى ؟

- نعم .

- هاستنجز .. وأنت ياجاب ؟ هل تتفقان فى هذا الرأى ؟

وتحول إلى كل منهم وكان وجهه شاحبا وبدت عيناه الخضراوتان كعينى القط وقال:

- مع ذلك فقد خدعتم جميعا .. خدعتكم عيونكم تماما كما خدعتم فى ليلة الحفلة الراقصة ... إذا رأى المرء الأشياء بعينى رأسه ، كما يقولون . بالذات فإن الرؤية لاتكون صحيحة دائما إذ يجب أن يراها بعين العقل وأن يعمل خلايا مخه .. اعلموا إذن أنكم فى هذا المساء ، وكذلك فى ليلة الحفلة ، لم تروا ستة أشخاص وإنما خمسة فقط .. انظروا .

وانطفأت الأنوار من جديد فيما عدا أنوار الشاشة التى ظهر أمامها شخص .. كان هو بييرو .

قال بوارو متسائلا : من هذا ؟ أهو بييرو ؟

أجبنا كلنا فى صوت واحد : نعم .

- أنظروا مرة أخرى .

وبحركة سريعة خلع الرجل ثوب بييرو الفضفاض وعلى الفور ظهر تحته ثوب المهرج

الأنيق . وفى نفس اللحظة ارتفعت صيحة وصوت سقوط ووقع مقعد وقال كريس دافيدسون فى شراسة :

- عليك اللعنة .. كيف خمنت ؟

وسمعت صوت الأصفاد وهى تطبق على يديه ثم صوت جاب وهو يقول بلهجته الرسمية :

- كريسوفر دافيدسون .. اننى ألقى القبض عليك بتهمة قتل اللورد كرونشو .. ان ماستنطق به سيتخذ قرينة ضدك .

***

وبعد ربع ساعة وأمام عشاء خفيف كان بوارو يبتسم وقد تحول إلى ضيف كريم وراح يرد على أسئلتنا الملحة فقال :

- كان الأمر سهلا جدا ، فإن الظروف التى تواجدت فيها الشرابة الخضراء كانت تدل على أنها انتزعت من ثوب القاتل . وقد استبعدت بيبريت ، فإن طعنه بسكين المائدة تتطلب قوة خاصة لاتتوفر لامرأة . ونظرت إلى بيبرو على أنه هو القاتل ولكن بيبرو كان قد غادر المرقص قبل وقوع الجريمة بساعتين . وعلى ذلك فلابد أنه أما أن يكون قد عاد لكى يقتل اللورد كرونشو وأما أن يكون قد قتله قبل مغادرته المرقص . ولكن هل كان هذا ممكنا .. من الذى رأى اللورد كرونشو بعد العشاء ؟ .. لم يره أحد غير مسز دافيدسون ولكننى رتبت فى أنها كذبت لكى تفسر وجود الشرابة التى قطعتها من ثوبها لتستبدل بها تلك التى انتزعت من ثوب زوجها ينتج من هذا أن المهرج الذى رؤى فى المقصورة فى الساعة الواحدة والنصف ماهو إلا دعى زائف وارتفعت شكوكى لحظة فى مستر بلتين ، ولكن ثوبه المعقد كان يحول بينه وبين أن يقوم بنفس الدورين ، دور المهرج ودور بوليشينيل ، وهذا ماكان فى مقدور دافيدسون أن يقوم به ، فهو ممثل محترف ثم أن له نفس قامة القتيل .

لكن شيئا ما أثار قلقى . ان أى طبيب كان يمكن أن يرى الفرق بين رجل مات انقضت على وفاته ساعتان وآخر مات منذ عشر دقائق .. حسنا لقد رأى الطبيب هذا الفرق ولكن أحدا لم يسأله ، منذ متى مات هذا الرجل ؟ وإنما على العكس من ذلك قيل له أن ذلك الرجل كان لايزال على قيد الحياة منذ عشر دقائق ولهذا اكتفى بأن يذكر فى التحقيق تصلب أطراف الجثة كعارض غير طبيعى لم يفسره .

كان كل شىء يؤيد نظريتى . قتل دافيدسون اللورد كرونشو بعد العشاء مباشرة وقد رؤى كما تذكرون وهو يدخل مع اللورد كرونشو إلى الغرفة الخاصة التى تناولوا فيها العشاء ثم رافق دافيدسون بعد ذلك مس كورتناى ولكنه تركها عند باب بيتها ولم يصعد لتهدئتها كما ادعى بل أسرع فى العودة إلى الرقص لابثوب بييرو وإنما بثوب المهرج ، وهو تغيير قام به فى أقل من لحظة بأن خلع ثوب بييرو الواسع .

انحنى عم الفقيد إلى الأمام وقد ارتسمت الحيرة فى عينيه وقال :

- إذا كان الأمر كذلك فإنه قد ارتكب الجريمة عمدا ، فما السبب الذى يمكن أن يدفعه إلى ذلك ؟

- آه .. هنا نأتى إلى المأساة الثانية .. مأساة مس كورتناى . هناك شىء بسيط لم يفطن إليه أحد وهو أن مس كورتناى ماتت متأثرة بتناول كمية أكبر من المعتاد من الكوكايين . فقد كانت تحتفظ بكمية منه فى العلبة الصغيرة التى وجدت مع اللورد كرونشو ، فمن أين حصلت إذن على الكمية التى تسببت فى موتها ؟ شخص واحد كان فى مقدوره أن يزودها بها وهو دافيدسون . وهذا يفسر كل شىء .. يفسر العلاقة الطيبة التى كانت بين كوكو ودافيدسون وزوجته ويفسر السبب فى انها طلبت من دافيدسون أن يرافقها إلى البيت ، فقد اكتشف اللورد كرونشو أنها تتعاطى الكوكايين وكان يكره المخدرات والمدمنين وقد شك فى ذلك طبعا ولكن اللورد كرونشو صمم على انتزاع الحقيقة من مس كورتناى أثناء الحفلة الراقصة .. وكأن فى مقدوره أن يغفر لها

ولكنه ماكان ليغفر أبدا للرجل الذى يزودها بالمخدر وخشى دافيدسون افتصاح أمره وضياعه فذهب إلى الحفلة وقد عقد النية على أن يحصل على صمت كرونشو بأى ثمن

· وهل كان موت كوكو عرضا ؟

أظن أنه كان حادثا دبره دافيدسون بمهارة ، فقد حقدت كوكو على اللورد كرونشو كل الحقد لتعنيفه لها ولاستيلائه على علبتها ولكن دافيدسون أعطاها كمية أخرى ونصحها طبعا بأن تأخذ كمية مضاعفة . من باب التحدى نحو اللورد كرونشو

قلت هناك شيء أخر الستارة والمكان كيف عرفت بوجودهما ؟

ولكن الأمر بسيط جدا ياصديقى ان الخدم كانوا يدخلون تلك الغرفة ويخرجون منها بدون انقطاع ولايمكن أن تكون الجثة قد بقيت حيث اكتشفت فوق أرص الغرفة . وكان يجب أن يكون هناك مكان فى الغرفة يمكن اخفاؤها فيه وقد استنتجت من ذلك أن هناك ستارة وخلف هده الستارة مكان وإلى هذا المكان جر دافيدسون الجثة وفيما بعد أن لفت إليه الأنظار بتنكره أحرج الجثة من محبئها قبل أن يغادر المرقص نهائيا كانت هذه إحدى أفكاره الرائعة انه فتى ذكى جدا

قرأت فى عينى المخبر القصير الخضراوين كأنه يقول

- ولكنه ليس بأذكى من هركيول بوارو

تمت بحمد الله

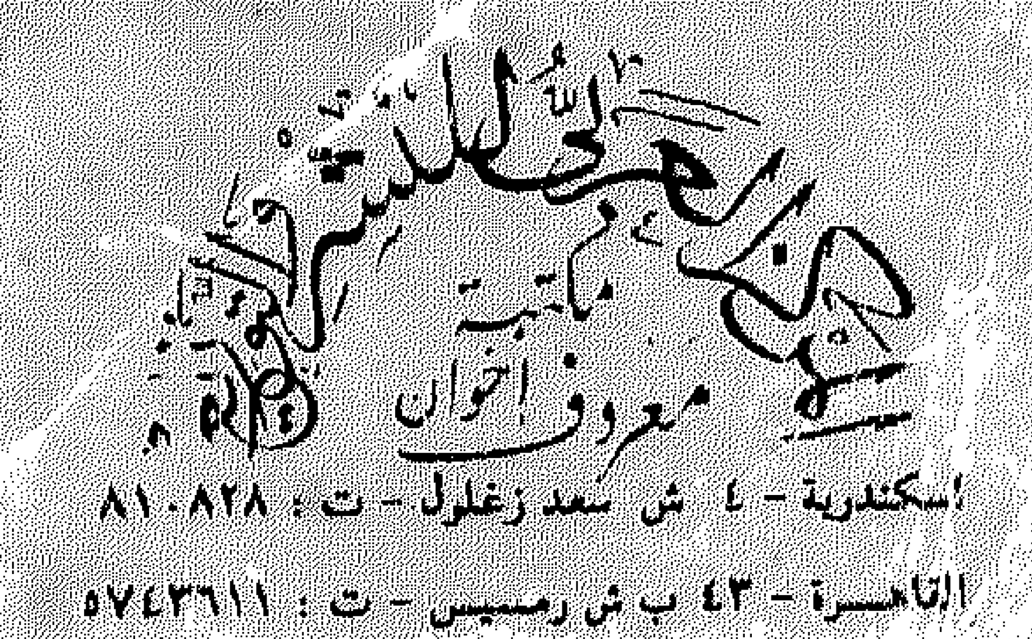


مجموعة قصص أجاثا كريستى

ترجمة الأستاذ / محمد عبد المنعم جلال

* جريمة فى العراق
* العميل السرى
* أدلة الجريمة
* اختطاف رئيس الوزراء
* قتيل فى المترو
* الرسائل السوداء
* التضحية الكبري
* ذكريات
* سر التوأمين
* جريمة ممثلة
* اللغز المثير
* القاتل الغامض
* جريمة فوق السحاب
* الجريمة المعقدة
* المتهمة البريئة
* الجريمة الكاملة
* مغامرات بوارو
* الساحرة
* ابواب القدر
* القضية الكبرى

الموزعو
بالمملكة العربية
مكتبة دار
ت : ١١١٢٠٧



اسكندرية - ٤ ش سعد زغلول - ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة - ٤٣ ب ش رمسيس - ت : ٥٧٤٣٦١١